الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم : التاريخ

رقم :.....

التجارة والتجار بالمغرب الأوسط في العهد الحمادي – بجاية – (461-547هـ/1069-1152م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص : تاريخ القرون الوسطى

إعداد الطلـبة :

- بن قسمية وليد
- ذويبي حسان

مقدمة أمام لجنة المناقشة		
اسم ولقب الأستاذ (ة)	المؤسسة الجامعية	الصفة
أ/د: سرحان عبد الحليم	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	رئيسا
أ/د : خلفات مفتاح	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	مشرفا ومقررا
أ/د:بركات إسماعيل	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	ممتحنا

السنة الجـــامعية

2017-2016

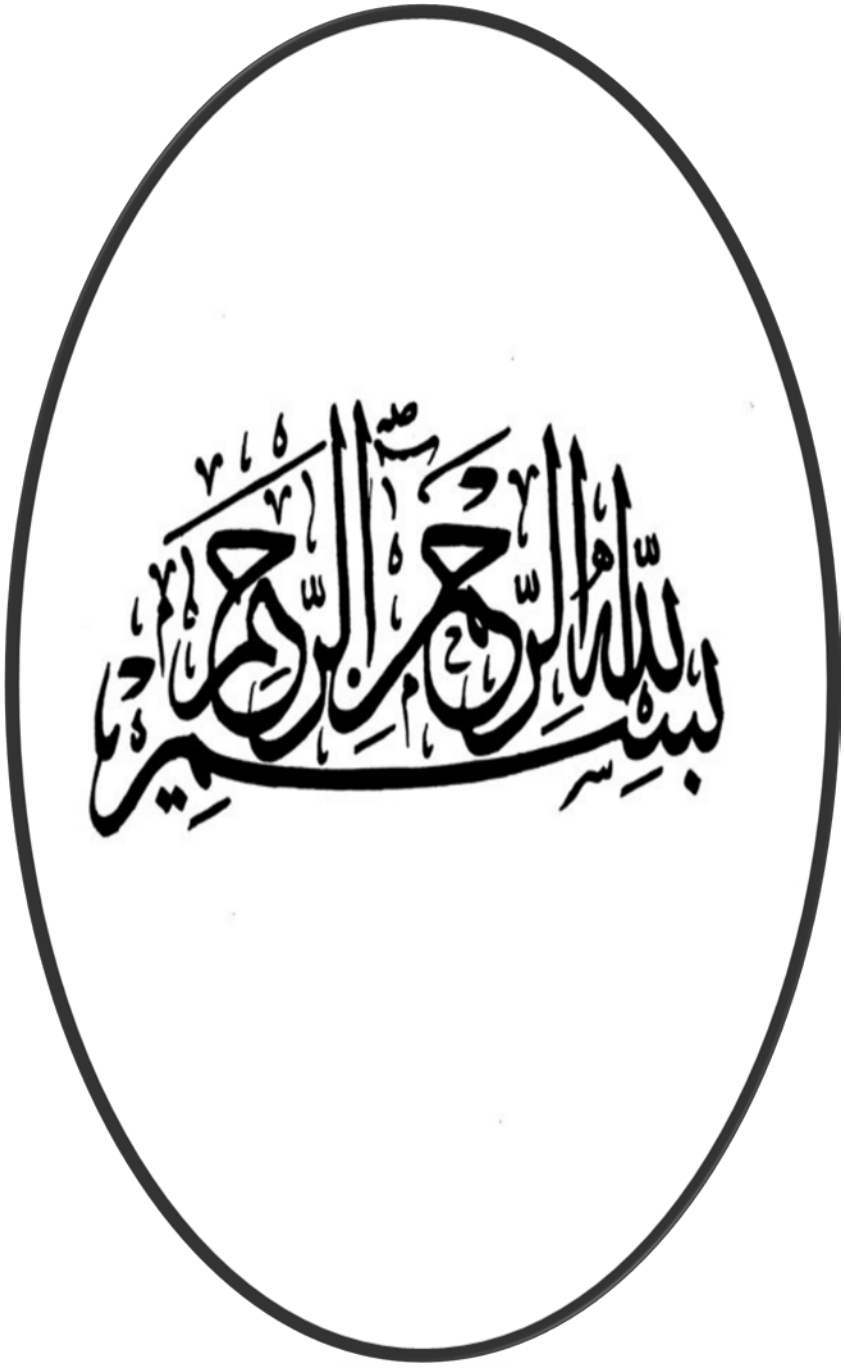
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وعرفان

قال الله تعالى " وَمَنْ شَكَر فَإِنَّمَا شَكَر لِنفْسِه ومَنْ كَفَر فَإِنَّ رَبْي كَرِيمٌ "

نتقدم بالشكر الخالص والجزيل الى الله سبحانه وتعالى الذي وفقنا وأعاننا في إنجاز العمل وإلى الأستاذ المشرف خلفات مفتاح الذي كان عونا لنا وسنداً لنا فلم يبخل علينا بإرشاده طوال مشوار البحث ، وكما نتقدم بالشكر الخالص إلى جميع أساتذة التاريخ ونخص بالذكر الأستاذين حصباية محمد والأستاذ همال عبد السلام اللَّذان لم يبخلا علينا بنصائحهما القيمة ، وكمالا يفوتنا أن ننوه بجميل العمل والمساعدة التى تلقيناها من زملائنا في قسم التاريخ.

إهـــــداء

بَسْمِ اللهِ الذِي لاَ يَضُر مَع اِسْمه شَيئٌ فِي الأرضِ ولاِ في السَّمَاء

وهُو السَّميــع العَليــم

نهدي ثمرة جهدنا المتواضع إلى الوالدين الكريمين أطال الله عمرهما وإلى جميع

أساتذة وطلبة التاريخ الوسيط بجامعة المسيلة

المقدمـــــة

أهمية الموضوع وإشكاليته :

تعتبر مدينة بجاية من أهم الحواضر المغربية ، التي ذاع صيتها خلال الفترة الوسيطية، خاصة بعد انتقال العاصمة الحمادية نحوها ، جراء اجتياح و كبس العرب الهلالية على قلعة بني حماد العاصمة الأولى للدولة ، وقد اكتسبت بجاية أهمية كبيرة في شتى المجالات ، سواءٌ السياسية أو الإجتماعية وخاصة المجال الإقتصادي والذي تمثل في إنفتاح التجارة الحمادية على البحر الرومي (المتوسط) ودخولها في علاقات تجارية موسعة مع العديد من البلدان المجاورة لها والمتباعدة ، مما ساهم في إزدهارها الإقتصادي ، هذه الأهمية التي إحتلتها بجاية لم تكن بكونها عاصمة للدولة الحمادية فحسب ، إنما أيضا إمتلاكها جملة من المقومات الطبيعية والإجتماعية أهلتها لاحتلال هذه المكانة .

ولطالما كان الجانب الإقتصادي بمثابة المرآة العاكسة للحياة الحضارية للدولة، فعلى أساسه يقاس مدا إزدهارها وتقدمها ، فتظهر بذلك أهمية هذا الجانب لما له من تأثير على باقي الجوانب الأخري ، ومن هنا جاء بحثنا تحت عنوان " التجارة والتجار بالمغرب الأوسط في العهد الحمادي – بجاية – (461-547هـ/1069 -1152م) ، لمعرفة مدى أهمية الدور الحضاري والإقتصادي الذي لعبته مدينة بجاية الحمادية .

وقد اخترنا هذا الموضوع وفق دوافع نذكر منها :

رغبتنا في الإطلاع على تاريخ أمتنا الحافل بالانجازات الحضارية ، خاصة إذا تعلق الأمر بالتجارة التي انعكست بالإيجاب على الجانب الحضاري للدولة الحمادية ببجاية .

و رغبة منَّا في دراسة المواضيع الإقتصادية ، خاصة فيما يتعلق بالجانب التجاري؛ وكذا بحكم انتمائنا لبجاية .

إشكالية الموضوع :

تعتبر الإشكالية الجوهر والأساس الذي يرتكز عليه الموضوع فكانت إشكالية الموضوع كالتالي :

- كيف كانت حالة والتجارة التجار ببجاية الحمادية ؟ وماهو الدور الذي لعبه هؤلاء في التجارة البجائية ؟ وما هي المعاملات التي حكمت تبادلاتهم التجارية؟ وما هي أهم المنتوجات الزراعية والصناعية التي كانت متداولة في أسواق بجايـــة؟
- ومامدى مساهمة المسالك والطرق في تفعيل الحركة التجارية ؟
- وهل كان للأمراء الحماديين ببجاية اعتناء بمجال التجارة ؟ وما هي أهم الأصقاع التي أقامت معها بجاية علاقات تجارية ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات المطروحة تمَّ تقسيم بحثنا إلى فصلين ،افتتحنا الحديث عنهما **بمدخل تمهيدي**، تناولنا من خلاله تأسيس مدينة بجاية والأمراء الحماديين بها ، أما **الفصل الأول**، فتناولنا فيه المقومات التجارية ببجاية الحمادية ، تحدثنا في مستهله عن التجار في بجاية ودورهم في تنشيط الحركة التجارية بها ، ثمَّ عرّجنا للحديث عن المنتوجات التجارية ببجاية الزراعية منها والصناعية والأسواق التي عرفتها مدينة بجاية ، وختمنا الفصل الأول بالحديث عن آليات التعامل التجاري التي كانت جارية بأسواق ببجاية من نظام السكة ثم المكاييل والموازين ثمَّ الأسعار، وتطرقنا في **الفصل الثاني**، للمسالك التجارية ببجاية ، البرية منها والبحري والتي كانت تربط بجاية مع مختلف المدن الداخلية والخارجية مع إبراز الدور الذي لعبته في تنشيط الحركة التجارية، وكما تطرقنا في هذا الفصل إلى العلاقات التجارية التي عرفتها بجاية الحمادية مع أقاليمها الداخلية و المجاورة لها ، وكذا علاقاتها التجارية الدولية مع ضفاف البحر الرومي (المتوسط) وغيرها، لنطوي البحث بخاتمة حول ما توصلنا له من خلال هذا الموضوع .

المنهـــج :

كان المنهج المتبع في الموضوع هو المنهج التاريخي التحليلي ، والذي لم يعد بمعزل عن تأثير المناهج الأخرى ، حيث تطرقنا لتحليل أسباب انتقال الحماديين لبجاية عبر العوامل التي كانت وراء نشاط مسلك تجاري دون آخر ببجاية ، مستعينين بالوصف ، في وصف الطرق السلع التجارية ببجاية صف الطرق التجارية للمدينة وكذا المقارنة في المكاييل والموازين ومقارنتها بموازين المشرق.

عرض المصادر والمراجع :

تنوعت المصادر الجغرافية بين مغربية و مشرقية ، وخاصة منها التي تحدثت عن بجاية فكانت كتب الجغرافية و البلدان ، التي استوعبت أقاليم المغرب الإسلامي الأساس الذي ارتكز عليه الموضوع، لما لهذه المدونات من أهمية بين المصادر التاريخية الأخرى، بما تتضمنه من معلومات اقتصادية واجتماعية وحتى سياسية ، وكما أن دراسة الحياة الاقتصادية لأي مجتمع تتطلب الإحاطة بالبنية الجغرافية الخاصة بها، إلا أن التعامل مع الكتب الجغرافية يستلزم اليقظة واخذ مسحة شاملة على الكتاب ، وكما لا يعني هذا أن المصادر الأخرى سواء الفقهية أو الحوليات التاريخية لا تحتوي على معلومات اقتصادية ، بل إننا في بعض الأحيان نجد هذه الكتب تتفرد على أخبار ذات أهمية، وسوف تقوم بعرض أهم المصادر الجغرافية التي كاتن لها المكانة والأهمية الخاصة في البحث :

- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، للشريف الادريسي(ت560هـ/1165م) والذي يعتبر من أهم الجغرافيين المغاربة والعرب خلال العصر الوسيط ،وقد استخدمنا النسخة الشاملة من كتابه التي تحتوي على مجلدين حيث تضمن الأول منه مادة لا نستطيع الاستغناء عنها خاصة فيما يتعلق بالطرق والعلاقات التجارية الداخلية ببجاية .

- **الإستبصار في عجائب الأمصار**، لعبد ربه الحفيد الجغرافي المراكشي خلال القرن (6هـ/12م) والذي يعد مصدرا جغرافيا وتاريخيا هاما بالنسبة للتاريخ المغاربي حيث تطرق للثروة الصناعية والمعدنية للمدن المغربية، فكان المعين لنا في التعريف بالمدن وخاصة مدينة بجاية وطرقها التجارية ، وكان ملما بذكر الزراعة والصناعة .
- **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب؛ وهو جزء من المسالك والممالك**، لأبي عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت487هـ/1094م) وقد زخر كتاب البكري بميزات جعلته مصدرا جغرافيا بالغ الأهمية عن تاريخ المغرب الإسلامي ، حيث اهتم بوصف المدن وعمرانها واقتصادها وعاداتها.

كما تكمن أهميته كون أن البكري وقف على كتاب "مسالك افريقية وممالكها" لمحمد ابن يوسف ابن عبد الله الوراق القيرواني (ت363هـ/973م)، وهو احد المصادر العديدة التي نقل عنها البكري نظرا لفقدان هذا المصدر ،وقد افادنا البكري كذلك في التعريف بالمدن ومعرفة بعض الصناعات التى كانت موجودة ببجاية وأقاليمها كصناعة السفن الحربية والتجارية. وكذلك معرفة المراسي المتصلة ببجاية.

- **صورة الارض** ، لابن حوقل(367هـ/977م)، الذي ذكر مجموعة من المدن المغربية التي وجدها عامرة برحلته الى المغرب كما تحدث عن بعض المدن التي خربها العبيديين وابرز عواقب ذلك على الوضع الاقتصادي، اضافة الى مصادر أخرى امدتنا بمعلومات اقتصادية **كالغبريني** (ت704هـ/1305م) ،والذي ذكر من خلال تراجمه بعض الأسواق التي كانت ببجاية خلال المئة السابعة للهجرة ،و ابن عذاري المراكشي في كتابه **البيان المغرب**(حي712هـ/1312م)، وابن خلدون (ت808هـ/1406م) الذي افادنا بالسكة الحديدية ووصفها والقلقشندي (ت821هـ/1476م) ، في صبح الأعشوغير ذلك .

وفيما يخص المراجع ، فقد كان هناك عدد من الدراسات التاريخية ،التي تلتقي وموضوع بحثنا منها ، رشيد بورويبة عن الدولة الحمادية وكتاب دومينك فاليريا عن بجاية

"ميناء مغاربي " وكما كان هناك عدد من الدراسات ، والتي استفدا منها بشكل كبير منها عبادي ونجيه عن الحرف ةالحرفيين في المغرب الأوسط ، من خلال كتب الرحالة و دراسة محمد ابن سعو عن التجارة والتجار في المغرب الإسلامي في القرن(7-10هـ/13-16م)

الصعوبـــات :

وكأي بحث لايخلوا بحثنا من الصعوبات ، فكان أهمها :

قلة المصادر التي تتناول مثل هذه الدراسات الإقتصادية ، بحيث إقتصرت البحث في موضوعنا على الكتب الجغرافية ، وكما أن قد صعُب علينا التعامل مع كتب النوازل التي أعتبرت الأساس الذي ترتكز عليه الدراسات الإجتماعية والإقتصادية .

وفي الختام نتوجه بشكرنا للأستاذ المشرف الدكتور خلفات مفتاح ، للتوجيهات والنصائح التي قدمها لنا من أجل إتمام موضوع هذا البحث .

مدخـل تمهيـــدي :

أولا : تأسيس مدينة بجايـــة .

ثانيا : أمراء بجايـــة الحماديـــة .

أولا : تأسيس مدينة بجاية الحمادية .

ارتبط تأسيس مدينة بجاية وانتقال العاصمة الحمادية إليها على عهد الناصر بن علناس (ت481هـ/1089م) بعدة روايات حيث افتتح الناصر جبل بغاية سنة(460هـ/ 1069م) والذي كانت تسكنه قبائل من البربر يسمون بغاية(فقلبت القاء جيماً) , واختط به المدينة ،(**ينظرالملحق رقم 01**) وسماها الناصرية , لكنها عرفت عند الناس باسم القبيلة وهي بغاية , وقد انتقل إليها الناصر سنة (461هـ/1069م) وبنى بها قصر اللؤلؤة وكان من أعجب قصور الدنيا ونقل إليها الناس وأسقط الخراج عن ساكنيها [1]، رغبة منه في إستقطاب الساكنة.

وقبل التطرق لروايات تأسيس هذه المدينة , لابد أن نعرج على ملامح شخصية الناصر ابن علناس و هو الناصر ابن علناس ابن حماد ابن بلكين ابن زيري الصنهاجي البربري , خامس أمراء الدولة الحمادية (454–481هـ/1062–1089م) وقد انقسم عهده بين العاصمتين الأولى قلعة بني حماد (454–461هـ/1062–1069م), والعاصمة الثانية بجاية (461–481هـ/1069–1089م) بعد أن قهر ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد وغدر به وأخذ الملك منه [2].

ويرجع السبب وراء قتل الناصر لابن عمه بلكين بن محمد , أن بلكين لما قتل أخوه مقاتل اتهم زوجته ناميرت بنت علناس (أخت الناصر) فقتلها , حينئذ عزم الناصر على الثأر لأخته[3], فأخذ يترقب الفرصة لذلك , حين خرج بلكين إلى المغرب بعد أن

---

[1] ابن خلدون : ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر , تحقيق : خليل شحاتة وسهيل زكار , لبنان : دار الفكر , 2000 هـ , ج6 , ص ص 231 – 232 .

[2] الذهبي : سير أعلام النبلاء , تحقيق : شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي , بيروت : مؤسسة الرسالة , 1405 هـ , ج 18 , ص 597.

[3] ابن خلدون : العبر ، المصدر السابق , ج6 ، ص 229 .

سمع باستيلاء المرابطين على المصامدة فتوغل في المغرب ونزل فاس[1], ثم أقبل راجعا إلى القلعة وقد نال التعب منه ومن صنهاجة الذين كانوا معه بسبب مشقة التوغل في أرض المغرب , فاستغل الناصر ذلك وقتله سنة(454هـ/1062م)[2] , فكان الناصر من أشهر ملوك هذه الدولة وأعظمهم شأنًا و أعلاهم كعبًا وأثبتهم قدمًا في الملك[3], إلا أنه كان شديد الغيرة على النساء , وله في ذلك أخبار مشهورة , كما كان جريئًا على سفك الدماء [4] , يقتل كل من يشك في ولاءه له أو تسول له نفسه في الانقلاب عليه مثل مافعله برؤساء بسكرة [5] الذين احتملهم وزيره ووزير بلكين قبله إلى القلعة فصلبهم الناصر , ثم قتل وزيره خلف بن حيدرة لأخبار وصلته عنه [6].

وقد أثبت ابن الخطيب(ت776هـ/1374م) أبيات للشاعر ابن فكاه القيرواني [7] الذي مدح فيها الناصر بن علناس قائلا:

قَالتْ سُعَادُ : وَقَدْ زَمَّتْ رَكَائِبُنَا مَهْـــــلاً عَلَيْكَ فَأَنْتَ الرَّائِـــــحُ الغَادِي

---

[1] قاعدة بلاد المغرب وهي محدثة في ولاية إدريس بن إدريس , عبارة عن مدينتان , أسست عدوة الأندلس سنة (192 هـ / 808 م) وعدوة القرويين سنة (193 هـ / 809 م) . ينظر : (ابن عبد ربه الحفيد : الإستبصار في عجائب الأمصار , تعليق : سعد زغلول عبد الحميد , العراق : دار الشؤون الثقافية , ص 180) .

[2] ابن خلدون : العبر ، المصدر السابق , ج 6 , ص 69 .

[3] عبد الرحمن محمد الجيلالي : تاريـخ الجزائر العام , ط 2 , بيروت : دار مكتبـــة الحياة , 1965 هـ , ج 1 , ص 368 .

[4] لسان الدين ابن الخطيب : تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ؛ من كتابه : أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام , تحقيق : أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني , الدار البيضاء : دار الكتاب , 1964 م , ج 3 , ص 96 .

[5] كورة بها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة كثيرة النخل والزيتون و أصناف الثمار , وبها أصناف التمور منها الكسب . ينظر : (أبي عبيد البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ؛ من كتابه : المسالك و الممالك , القاهرة : دار الكتاب الإسلامي , ص 52) .

[6] ابن خلدون : العبر ، المصدر السابق , ج6 ، ص 230 .

[7] هو أبو القاسم عبد الخالق بن إبراهيم القرشي , شاعر بارع , ذكي الخاطر , حسن الطريقة . ينظر : (حسن بن رشيق القيرواني : أنموذج الزمان في شعراء القيروان , تحقيق : محمد لعروسي المطوي وبشير البكوش , تونس : الدار التونسية , 1406 هـ , ص 136) .

فَقُلْتُ : تَاللهِ لَا نْفَكَّ ذَا سَفَـــرٍ تَجْرِي بِي الفُلْكُ أَوْ يَحْدُو بِي الحَادِي

حَتَّى أَقْبَلَ تَربُ العِزِّ مُنْتَصِـراً بالنَّاصِرِ ابنُ عَلنَـــاِس ابنُ حَمَّـادِ[1]

توفي الناصر بن علناس يوم الجمعة سبعة من جمادى الأولى وقيـل الآخرة سنة(481هـ/1089م) بقصره بظاهر بجاية واحتمل إليها فدفن بها [2].

وعن أسباب بناء المدينة وانتقال الحماديين إليها عدة روايات :

– **الرواية الأولى** : والتي يمكن أن نصنفها ضمن العوامل النفسية كون أن الناصر بن علناس كره مجاورة بني حماد أكناف القلعة المنسوبة إليهم [3].

– **الرواية الثانية** : ارتبطت هذه الرواية بهزيمة العرب الهلالية للناصر بن علناس في موقعة سبيبة [4] سنة(457هـ/1065م) وتملكهم على البلاد ووصولهم إلى القلعة باتفاق بين العرب وتميم بن المعز بن باديس[5] , ولأن الناصر ابن علناس كان يذم في مجلسه تميم ابن المعز وعزم على المسير ليحاصره بالمهدية , وأقـام حلفًا مع بعض قبـائل صنهاجة وزناتة وقبائل بن هلال , ليعينوه على حصار المهدية , فلما سمع تميم صنع صنيع الناصر وأرسل إلى بني رياح [6], وأحضرهم إليه وقال لهم : " إن الناصر قد جمع العساكر إليكم و إلى بلادكم فأمر بعشرة آلاف دينار, ولكل أمير منهم ألف دينار وألف

---

[1] ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 96 .

[2] المصدر نفسه , ص 94 .

[3] المصدر نفسه ، ص94 .

[4]من أعمال القيروان , مدينة قديمة ذات أنهار ومياه سائحة ... لم يكن بإفريقية أخصب منها . ينظر : (ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق , ص 161) .

[5] النويري : نهاية الأدب في فنون الأدب , تحقيق : عبد المجيد ترحيني , لبنان : منشورات علي بيضون , ج 24 , ص 123 .

[6] نسبة إلى رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر , من قبائل بني هلال و أكثرهم جمعًا عند دخولـهم إفريقية . ينظر : (ابن خلدون : العبر، المصدر السابق , ج6 , ص 43) .

درع وألف رمح وألف سيف هندي وتحالفوا على لقاء الناصر"[1] وجرى ماجرى من خيانة وغدر العرب للناصر وتميم, فجرت الهزيمة على الناصر,وندم تميم بن المعز على اتفاقه مع العرب ، وبلغ ذلك الناصر ، الذي أشار عليه وزيره أبو بكر أبي الفتوح[2] أن يصلح الأمر مع ابن عمه (تميم) فأرسل الوزير رسولاً إلى تميم(ت501هـ/1108م) , فقبل بذلك وأرسل هو الآخر محمد ابن البعبع[3]، الذي وصل إلى الناصر ابن علناس وأشار عليه بموضع بجاية وأنه سوف يمكنه من ملك المهدية وغيرها [4], فخرج الناصر ومحمد بن البعبع إلى موضع بجاية ورسم ابن البعبع المدينة ودار الصناعة والميناء وموضع القصر وأمر الناصر بمباشرة بناء المدينة[5]، ويمكن أن ندرج هذه الرواية ضمن الأسباب السياسية والإقتصادية .

– **الرواية الثالثة** : والتي وجدت تأييداً لدى الباحثين هو أن الناصر شعر بعدم الإستقرار والأمن بالقلعة بسبب اجتياحها من طرف العرب الهلالية ، فاتخاذه لهذه العاصمة يعود إلى أسباب أمنية بحتة ، فالقلعة أصبحت عرضةً للهجمات المتكررة من طرف بني هلال، لذلك احتاج الناصر إلى عاصمة تكون أكثر أمنًا , وهذا ما وفرته الطبيعة المنيعة

---

(1) النويري : المصدر السابق ، ج24 ، ص 123 .

(2) وزير الناصر بن علناس ، كان رجلاً يحب الإتفاق بينهم ويهوى دولة تميم ، وقد قتله الناصر لأن ابن البعبع سعى لمكانه . ينظر : (ابن الأثير : الكامل في التاريخ , مراجعة : محمد يوسف الدقاق , ط 1 , لبنان : دار الكتب العلمية 1987 م , ج 8 , ص 373) .

(3) رجل غريب عن صنهاجة , أنعم عليه تميم الزيري فأعطى له الأموال والأملاك , ثم قتله لأنه خانه وغرقت جثته . ينظر: (النويري : المصدر السابق , ج 24 , ص 125) .

(4) ابن الأثير : المصدر السابق , ج 8 , ص 374 .

(5) النويري : المصدر السابق , ج 24 , ص 125 .

لبجاية[1]، وهذا ما يعززه قول ابن عبد ربه الحفيد (مؤلف القرن6هـ/12م) عن حصانة مدينة بجاية :" فلم يكن للعرب إليها سبيل ولا كان يدخل من العرب إلا من يبعث إليه الملك لمصانعه على بلاد القلعة وغيرها ، فيدخلها أفراد وفرسان , دون عسكر , فبقى صاحب بجاية في ملك شامخ وعز باذخ , يضاهي في ملكه صاحب مصر..." [2].

نفس الرأي يذهب إليه عبد الحليم عويس ، كون أن خراب كنتيجة لمعركة سبيبة(457هـ/ 1065م) هو الباعث على التفكير في بناء عاصمة ، يمكن أن تلعب دورًا جديدًا تتطلبه ظروف الدولة [3]، فلما نزلت جيوش العرب بالقلعة وضيقوا عليها(لناصر) ببلاده ، فكان يصانعهم حتى ضاق ذرعاً بهم وكان لا يقدر على التصرف في بلاده ، فطلب موضعاً يبني فيه مدينة لا يلحقه فيها العرب فدُل على موضع بجاية [4]، وقد قال ابن الفكون[5] الشاعر الفلسطيني مادحاً في الناصرية ومتغنياً بها :

---

[1] عبيد بوداود : " مساهمة علماء القلعة في الحياة الفكرية ببجاية خلال القرن 7هـ/13م " ، ضمن أعمال الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد ألف سنة من التأسيس (398-1427هـ/1007-2007م) ، المنعقد بالمسيلة ، أيام9-10-11افريل 2007 ، جامعة المسيلة ، ص 488 .

[2] ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، 130 .

[3] عبد الحليم عويس : دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، ط2 ، القـــاهرة : دار الصحوة ، 1411هـ ، ص 488 .

[4] ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، 130 .

[5] هو أبو علي حسن بن عمر الفكون ، الشيخ الفقيه الكاتب الأديب أصله من قسنطينة ومن ذوي بيوتاتها ، شاعر المغرب الأوسط خلال القرن 6 هـ وأول 7 للهجرة . ينظر : (الغبريني : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق : عادل نويهض ، ط 2 ، بيروت : دار الآفاق الجديدة ، 1979 م ، ص 334) .

دعْ العراقَ وبغداد وشامهـــــــا فالناصرية مـَا إنْ مثلها بلـــــــدُ

برٌ وبحـرٌ ومـــــــوجٌ للعيون بـــه مسارحٌ بَان عنها الهـمُّ والنكـــــدُ

حَيْثُ الهَوى والهَواءُ الطَّلقُ مُجْتَمع حيث الغِنى والمُنى والعيشة والرغدُ [1]

ثانيا : أمراء بجاية الحمادية :

1/ الناصر بن علناس (454 – 481 هـ / 1062 – 1088 م) :

بعد أن قام الأمر له عقد لـ :

– أخوه كباب على مليانة [2]، أخوه رومان على حمزة [3]، وعلى نقاوس [4] أخوه حرز [5].

– أخوه بلباز على قسنطينة ، وقطع إلى ابنه عبد الله جزائر بني مزغنة ومرسى الدجاج و لابنه يوسف أشير ، كما دخل تحت طاعته أهل سفاقص وقسطيلة وأهل القيروان وتونس وبعث جيوشه إلى بسكرة .

اقطع ضواحي الزاب وريغة إلى المستنصر بن خزرون الزناتي الذي نزل بمعية العرب بالمسيلة وأشير ، وبعث سراياه إلى بلد واركلا [6] .

---

[1] الغبريني : المصدر السابق، ص334 .

[2] مدينة من بنيان الروم جددها زيري بن مناد الصنهاجي بها مياه سائحة وهي من أخصب بلاد افريقية . ينظر : (ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، ص 171) .

[3] نسبة إلى ثانيها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسن بن علي بن الحسن بن علي ابن أبي طالب رضـــي الله عنه ، مدينة حصينة . ينظر : (البكري : المصدر السابق : ص 65) .

[4] هي مدينة كثيرة الأنهار والثمار والمزارع ، كثيرة شجر الجوز ، منها يحمل الجوز إلى قلعة حماد و إلى أكثر تلك البلاد . ينظر : (ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، ص 172) .

[5] ابن خلدون : العبر ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 229 .

[6] المصدر نفسه ، ص ص 230 – 231 .

2/ المنصور بن الناصر (481 – 498 هـ / 1088 – 1104 م) :

قام له الأمر بعد وفاة أبيه ، فاستوطن بجاية سنة (483 هـ / 1090 م) وجدد قصورها وشيد عمائرها ،، اشتهر بولعه بالبناء وتشيد المباني والمصانع واتخاذ القصور ، فعرفت بذلك بجاية تطورًا عمرانياً [1] .

– أقطع على عهده بونة [2] وقسنطينة إلى أبي يكنى [3] ، وكما قطع تدلس " لمعز الدولة صمادح " حين جاز من الأندلس إلى بجاية فارا من المرابطين حين ملكوا الأندلس[4].

3/ باديس بن المنصور (498 هـ / 1104 م) :

يكنى أبا معد ، كان شديد البأس عظيم السطو ، سريع البطش ، وصل به الأمر أن ألقى رجلاً صالحا إلى الأسود فبات معها ولم تتعرض له ، قيل أن أمه سممته لأنه كان يهددها [5] .

4/ العزيز بن المنصور (498 – 515 هـ / 1104 – 1121 م) :

---

[1] ابن خلدون : العبر ، المصدر السابق ، ص232 .

[2] هي مدينة عتيقة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط ، وكانت تسمى أوربونة بها كثرة الصناع والتجار . ينظر : (الحسن الوزان : وصف إفريقيا ، ترجمة : محمد حجي ومحمد الأخضر ، ط 2 ، لبنان : دار الغرب الإسلامي ، 1983 م ، ج 5 ، ص 61) .

[3] ابن خلدون : العبر ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 232 .

[4] المصدر نفسه ، ص 234 .

[5] لسان الدين ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 98 .

[6] المصدر نفسه ، ص 99 .

عرف بالميمون لولادته ليلة ولاية أبيه على عهده شرعت القلعة في الخراب واستوطـــن بجاية [6] ، لأن العرب الهلالية كبست على القلعة واجتاحت ضواحيها ، نزل أهل تونس وجربة على طاعته .

ووصل على عهده المهدي الموحدي من المشرق سنة(512هـ/1118م) [1]وعرف عهده عامةً بالأمن والإستقرار لأنه كان يكاتب ملوك زمانه ويسالمهم[2] .

5/ يحي بن العزيز (515 – 547 هـ / 1121 – 1152 م) :

مما عرف عنه كان فاصلا حليما فصيح اللسان والعلم ، مولعا بالصيد ومغرما باللهو والملهين[3]، فطالت أيامه مستضعفا مغلبا للنساء إلى انقراض الدولة و استحدث السكة وأزال منها اسم الخلفاء الفاطميين وهو ما لم يفعله الأمراء قبله تأدبا معهم ، كان ينزل لتفقد القلعة ، ونقل ما فيها [4] .

دخل على عهده (515 –547 هـ) الموحدين بجاية وملوكها ، وبايع يحي بن العزيز عبد المؤمن بن علي سنة (547 هـ / 1152 م) ونزل قسنطينة ، وبعد ذلك نقله عبد المؤمن إلى مراكش [5] ثم إلى سلا أين توفي في نفس السنة [6].

---

[1] ابن خلدون : العبر ، المصدر السابق ، ج6 ، ص ص 234 –235 .

[2] ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 99 .

[3] المصدر نفسه ، ص 99

[4] ابن خلدون : العبر ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 235 .

[5] هي مدينة بالمغرب في البر الأعظم بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر ، اختطتها يوسف بن تاشفين سنة (470 هـ / 1077 م) . ينظر : (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، بيروت : دار صادر ، 1397 هـ ، ج 5 ، ص 94) .

[6] ابن خلدون : العبر ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 236 .

الفصل الأول : المقومات التجارية ببجاية الحمادية

أولا : التجار ببجاية الحمادية ودورهم في تنشيط الحركة التجارية

ثانيا : المنتوجات التجارية ببجاية الحمادية وأسواقها

1- المنتوجات

أ- المنتوجات الفلاحية

ب-االمنتوجات الصناعية

2- الأسواق

ثالثا: آليات وأدوات التعامل التجاري ببجاية الحمادية

1- نظام السكة

2- الأوزان المكاييل

3- الأسعار

أولاً : التجار ببجاية ودورهم في تنشيط الحركة التجارية

إن الحديث على التجار ببجاية يستلزم الإشارة إلى التجارة التي عرفها ابن خلدون (ت 808هـ/1405م) قائلا : " هي تنمية المال بشراء البضائع و محاولة بيعها بأغلى من ثمن الشراء إما بانتظار حوالة الأسواق أو نقلها إلى بلد هي فيه أنفق و أغلى أو بيعها بالغلاء على الآجال " [1] .

فقد عُرفت بجاية برواج تجارتها و كثرة التجار بها بحيث كان لهم دور كبير و فعال في ازدهار التجارة الداخلية والخارجية وحسبنا دليلا ما أفادنا به الإدريسي (ت 560هـ/1165م) بقوله " أهلها مياسير تجار وبها من الصناعات و البضائع ما ليس بكثير من البلاد " [2] ، واستطاعت فئة التجار بما لها من أموال و ذخائر من تنشيط الحركة التجارية على الصعيدين الداخلي و الخارجي بما كانوا يجلبونه من سلع و بضائع متنوعة لتموين مختلف الأسواق [3] ، و هذا ما مكنهم من إقامة علاقات تجارية مع مختلف تجار البلدان التي دخلت مع مدينة بجاية في علاقات تجارية نستطيع وصفها بالموسعة؛ من تجار محليين ومجاورين، مشارقة وأوربيين ومن بين هذه العلاقات نذكر: مع التجار الأندلسيين : كان مرسى بجاية مرسا آهلة و عامرة بأهل الأندلس بشرقيها نهر كبير تدخله السفن محملة بالبضائع [4] ، كما كانت علاقة تجار بجاية و الأندلس

---

[1] ابن خلدون : المقدمة ، تحقيق :خليل شحاتة و سهيل زكار ، لبنان : دار الفكر ، 1421هـ ، ص 494 .

[2] الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، 1422هـ ، ج1 ،ص 260 .

[3] مفتاح خلفات : قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6-9هـ/12-15م) – دراسة في دورها السياسي والحضاري – ، ط1 ، الجزائر : المؤلفات للنشر والتوزيع ، 1437 هـ، ص260 .

[4] البكري : المصدر السابق ، ص 82 .

قديمة لأن الأندلسيين كانوا متواجدين قبل تأسيس الناصر ابن علناس للمدينة و اعتبروا من الفاعلين في التجارة البحرية ، و تنشيط الموانئ على طول السواحل المغربية [1] .

كما تعتبر تنس من أكبر المدن التي يتعدى إليها التجار الأندلسين بمراكبهم و يقصدونها بمتاجرهم و ينهضون منها إلى ما سواها و كذلك بونة [2] .

مع التجار اليهود : شكل تجار اليهود جماعة نشطة في التجارة بالمغرب الإسلامي، وكان تواجدهم ببجاية قديما ، بحيث كانوا متواجدين بقلعة بني حماد ، وبعد الغزو الهلالي استقروا ببجاية[3]، وكان دورهم كبير و مهم في التجارة الداخلية ، خاصة كوسطاء في التجارة الصحراوية ، ولهم الفضل الكبير في التطور الإقتصادي وتنوعت تجارتهم ببجاية في الملح والأنسجة و الجلود و الشمع و غيرها [4].

وكما يمكن للتاجر أن يكون مزدوج الوظيفة ، فأغلبهم كانوا جنود و أصحاب سفن وعلماء ، فكانت التجارة تجذب مختلف شرائح المجتمع .

اختلف المستوى المعيشي والوظيفي ويمكن تصنيف التجار كما يلي :

الفئة الأولى : الأمراء ، الفقهاء و الحكام .

الفئة الثانية : الموظفين ، الجند و الأطباء .

الفئة الثالثة : التجار .

الفئة الرابعة : أصحاب الحرف .

---

(1) دومينيك فاليريا ، بجاية ميناء مغربي ، ترجمة : عمار علاوة ، الجزائر : المجلس الأعلى للغة العربية ، ج2 ، ص 694 .

(2) ابن حوقل : صورة الأرض ، لبنان : دار مكتبة الحياة ، 1992م ، ص 78 .

(3) دومينيك فاليريا ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 694 .

(4) المرجع نفسه ، ص ص 665 – 696 .

وكان التجار متمركزين بالمدن وشكلوا جزء مهم بالمجتمع ، ومستواهم المعيشي أحسن بكثير من سكان البادية ، وعلاقتهم بالناس هي علاقة البائع بالمشتري أي علاقة بيع وشراء [1].

كما أن المصادر و المراجع التي بين أيدينا ، لم تقدم لنا معلومات وافية ، وكافية تساعدنا على رسم صورة واضحة للتجار ببجاية في العهد الحمادى إلا أنه يمكن أن، نصنف تجار بجاية إلى :

- كبار التجار : هم طبقة كبار الموظفين و الأغنياء و سلعهم تعرف بالندرة و الغلاء الشديد ، فتكون لهم أرباح كثيرة ، و تجارتهم أغلبها خارجية [2] ، و حجم استثمارهم كبير من حيث كثرة الأموال و القوافل المجهزة .

و أغلب هؤلاء التجار يعتمدون على التجارة البعيدة فتحمل سلعهم إلى البلاد البعيدة فتكون تلك السلعة أغلى ، نظرا لحجم خطر الطريق و متاعبه [3] .

- صغار التجار: التجار المستقرون : هم التجار البسطاء الذين يملكون حوانيت صغيرة بالمدينة و يستأجرون من كبار الملاك ، و يأخذون أماكنهم من الأسواق و يتعرضون إلى مضاربات من كبار التجار ، فترخص سلعهم [4] .

الباعة المتجولون : و هم التجار الذين يطوفون في شوارع المدينة و يحملون البضائع المختلفة ، و تكون أسعارهم أقل من أسعار الدكاكين [5] .

---

[1] محمد بن ساعو ، التجارة والتجار في المغرب الإسلامي القرن(7-10 هـ/14- 15 م) ، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة باتنة ، 1434 – 1435 هـ ، ص ص171-172 .

[2] جودة عبد الكريم يوسف : الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية خلال في المغرب الأوسط خلال القرنين(3-4هـ/910م) ، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 146 .

[3] ابن خلدون : المقدمة ، المصدر السابق ، ص497 .

[4] جودة عبد الكريم يوسف : المرجع السابق ، الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين (3- 4هـ/9- 10م)، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 146 .

[5] محمد بن ساعو : المرجع السابق ، ص175 .

السماسرة [1] : هي كلمة فارسية معربة تعني التوسط بين البائع والمشتري ، وتطلق على عمل الدلال الذي يتوسط بين الناس لإمضاء صفقة تجارية ، والسمسار هو أجير يتقاضى أجرًا مقابل سعيه لترويج وكراء عقار، وقد سموا قديما بالمنادين والدلالين والطوافين والصاحة ؛ وذلك لأنهم ينادون ويصيحون للترويج بالسلعة والتعريف بها [2]، وتتلخص مهمته في تسويق البضائع والحوار بين التاجر والمشترين [3]، والدلالة مرادفة للسمسرة إلا أن الفقهاء فرقوا بين الدلالة والسمسرة فقيل أن السمسرة هي الإشعار بقدوم السلع وأشباهها والدلالة هي الإجارة على بيعها كما قيل أن السمسار هو الذي يدور بالسلع ويطوف بها والدّلال هو الحاذق العالم بالبيع ويشتري لمن أراد الشراء [4] .

ووظيفته تتمثل في الربط بين البائع و المشتري و يتدخل في جميع المعاملات التي تجري بالسوق ، والسمسار يقوم بشراء السلع التي يعرف بأنها رخيصة بالسعر فهو الحاكم بجميع أسعار السوق ثم يقوم ببيعها وبذلك يكون قد حقق ربحا [5]، وقد ذكر ابن حوقل (367هـ/977م) في، حديثه عن مرسى الخرز" ولسلطان المغرب أمناء على ما يخرج منه وناظر يلي صلاتها ومعاونها وما يلزم ما يخرج من هذا المعدن(المرجان) للتجارة بها أموال كثيرة من أقطار النواحي عند سماسرة وقوفا لبيع المرجان وشراءه "

---

[1] لقد أورد الونشريسي ، أسئلة وفتاوى مجموعة في السماسرة ، ضمن نوازل الإجازات والأكرية والصناع . يظر: (الونشريسي : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، إشراف محمد حجي ، الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية للمملكة المغربية ، 1401 ، ج8 ، ص ص317 –118 وص 355– 364).

[2] نزيه حماد : معجم المصطلحات المالية والإقتصادية في لغة الفقهاء ، ط 1 ، دمشق : دار القلم ، 1429 هـ، ص249 .

[3] علي عشي : التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات (2–10 هـ/ 8– 16 م) ، رسالة دكتوراه: علوم في التاريخ الوسيط ، جامعة باتنة ، 2016 – 2017م ، ص 545 .

[4] نزيه حماد : المرجع نفسه ، ص207 .

[5] جودت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق ، ص164 .

وقد عرف التجار ببجاية الحمادية العديد من المعاملات التجارية ، بحكم حركتها التجارية الواسعة ، وبسبب موقعها المنفتح على ضفاف بحر الروم، والتي من شأنها أن تسهل عملية التبادل التجاري ، وكانت هذه المعاملات تتمتع بكثير من الحرية فلم تفرض عليها قيود إلا في حدود الواجبات التي تفرضها الشريعة الإسلامية وفق مذهب الإمام مالك[1] ، ومن أهم المعاملات التجارية التي عرفت ببجاية نجد :

- المقايضة (المعاوضة) : هي معارضة غرض بغرض أي مبادلة مال بمال كلاهما من غير نقود، وعرفها بعضهم بأنها بيع العين بالعين أو بيع سلعة بسلعة وتسمية المقايضة هي الدارجة على جمهور الفقهاء عدا المالكية ، فقد اصطلحوا عليها تسمية معاوضة [2]، وكانت المقايضة تستعمل بكثرة في جنوبي الصحراء ، فقد ذكر ابن عبد ربه الحفيد (6هـ/12م)، أن أهل سلا[3] تبايعهم كان بالذرة والملح[4]، وقد جرت هذه المعاملة بسوق حومة باب المذبح من جهة ربض بجاية ، الذي ينزل فيه الناس لبيع وشراء العبيد وهناك يخمس ويقع الفصل فيه ، حتى بلغ بهم الأمر أن يباع بيضاوان من الروم بسوداء من الوخش[5] وذلك لكثرة العبيد[6].
- السفتجة : كلمة فارسية معربة أصلها سفتة وهي الشيئ المحكم ، وهي عبارة عن رقعة من كتان أو صك يكتبه الشخص لنائبه في مدينة أو بلاد آخر يلزمه فيه بدفع مبلغ من

---

[1] عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص 228 .

[2] نزيه حماد ، المرجع السابق ، ص ص 437 – 436 .

[3] مدينتان على ضفة النيل ، أهلها مسلمــون بينها وبين غانة مسيرة عشرين يوما ، في عمائر متصلة بالسودان . ينظر : (ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، ص 217) .

[4] المصدر نفسه ، ص 217 .

[5] رذالة الناس وصغارهم ويقال من وخش الناس أي من رذائلهم . ينظر : (ابن منظور : لسان العرب ، القاهرة : دار المعارف ، م 6 ، ص 4789) .

[6] الغبريني : المصدر السابق ، ص 45 .

المال لشخص أقرضه مثله ، وسميت هذه العملية بسفتجة لما فيها من إحكام الأمر وتوثيقه وتجنب العناء والخطر [1] .

قد استعملت السفاتج في التعامل التجاري بالمغرب بصفة عامة والتجار البجائيين على وجه الخصوص بحيث دعت الحاجة إلى استخدام هذه الوسائل في المعاملات التجارية بعد هجرة بني هلال وغارات النورمان وأعمال القرصنة وخراب الساحل الإفريقي[2]، بحيث لا يضطر التاجر لحمل النقود معه مدة سفره ، ويلجأ إلى رجل ثاني يسلمه هذه النقود ، ويأخذ بها سحبا على عميل لهذا الرجل الثاني موجود في البلد الذي يقصدها الأول ، فهي تسهل للمشتري شراء ما يلزمه من السلع دون أن يكون مضطر لدفع قيمتها نقدا عند الشراء[3].

- السمسرة : تعد السمسرة من المعملات التي يقوم بها السمسار أو الدلال ، فقد ذكر صاحب المعيار الونشريسي(ت914هـ/1508م) أن محمد البجائي قال لزيد المزوني أنك وردت عليا قاصد شراء سلعة بجاية ومعك حرير وحنابل تريد بيعها فأكرمتك وقمت بحقك وكنت تجلس في حانوتي بالقيصرية وصرت تفعل ما يفعل الدلالون ، نبحث لك عن السلع ونأتيك بها من عند من يريد بيعها فما أعجبك أخذته وما لم ترضــه ترده هكذا افعلي معك إلى أن اكتفيت ..." [4].

---

[1] نزيه حماد : المرجع السابق ، ص 244 .

[2] حسن خضري أحمد : علاقة الفاطميين في مصر بدول المغرب (362– 567هـ/ 973– 1171م) ، ط1 ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، ص 146 .

[3] جودة عبد الكريم يوسف : المرجع السابق ، ص 239 .

[4] الونشريسي : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 107 .

- نظام الرهن : الرهن لغة ما وضع عند الإنسان مما ينوب مناب ما أخذ منه ويقال رهنت فلانا دارا رهنا [1]، وقال تعالى { وإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجدُوا كَاتبًا فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ آمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدي الذي أُؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ولْيَتَّقِ اللهَ رَبه... } [2].

ويقصد به رهن العقارات كالدور والبساتين والأراضي والثمار والزرع [3] حيث يسلم البائع للمشتري السلعة مقابل تأخير المشتري للدفع لكن لا ينتفع بالرهن دائما ، لأنه يكون ضمانا بأن المشتري سيوفي ما عليه من ثمن السلعة [4].

- نظام الوديعة : مأخوذة من ودعت الشيء إذ تركته ويطلق الفقهاء كلمة الوديعة شرعا على العين التي توضع عند الغير ليحفظها [5]، ونظام الوديعة من بين المعاملات التجارية التي انتشرت ببلاد المغرب ، حيث يعمد بعض الناس إلى وضع سلعهم عند أصحاب الحوانيت ليبيعونها نيابة عنهم ، وكما قد ترسل الودائع مع التجار الذين ينتقلون من مكان إلى آخر لبيعها في مختلف البلدان [6].

---

[1] ابن منظور : المصدر السابق ، م 2 ، ص 1757

[2] سورة البقــرة : الآية [282] .

[3] كمال السيد أبو مصطفى : جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوادر وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي ، الإسكندرية : مركز الإسكندرية للكتاب ، 1996م ، ص 89 .

[4] محمد بن ساعو : المرجع السابق ، ص 40 .

[5] نزيه حماد : المرجع السابق ، ص 469 .

[6] محمد ساعو : المرجع السابق ، ص 40

ثانيا : المنتوجات التجارية ببجاية وأسواقها .

1- المنتوجات :

أ – المنتوجات الفلاحية :

جاء تعريف الفلاحة على لسان ابن خلدون (ت 808 هـ / 1406 م) في مقدمته قائلاً :" هذه الصناعة ثمراتها اتخاذ الأقوات والحبوب بالقيام على إثارة الأرض لها وازدراعها وعلاج نباتها وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه وإحكام الأعمال لذلك ، وتحصيل أسبابه ودواعيه ، وهي أقدم الصنائع بما أنَّها محصَّلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالبا ،... ولهذا اختصَّت هذه الصناعة بالبدو فكانت بدويَّة لا يقوم عليها الحضر ولا يعرفونها "[1]،و لقد حثّ القرآن الكريم على النشاط الزراعي فقال الله تعالى { افرأيتم ما تحرثون (63) أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون }[2]، لقد عرفت بجاية العاصمة الثانية للدولة الحمادية بعد القلعة ، والمدن التي كانت خاضعة لها تطورا ملحوظا في الجانب الفلاحي ومنحه عناية كبيرة ، ولقد اشتهرت بالحبوب والشعير وكانت منتوجاتها أشد حاجيات المغرب [3].

ومن جهته أفادنا الإدريسي(ت560 هـ/1165م) في كتابه نزهة المشتاق في الكشف ومعرفة أنواع المزروعات فيقول عن بجاية :" لها مزارع ، والحنطة والشعير بها موجودان كثيران والتين وسائر الفواكه منها ما يكفي لكثير من البلاد" [4]، وهذا مايدل على وفرة المنتوجات الزراعية ببجاية وتنوعها، ولقد كانت الحبوب خصوصا القمح والشعير يشكلان

---

[1] ابن خلدون : المقدمة ، المصدر السابق ، ص 515 .

[2] سورة الواقعة : الآية [63 – 64] .

[3] عمار عمورة : الموجز قي تاريخ الجزائر ، ط1 ، الجزائر : دار ريحانة ، 2002م ، ص 60 .

[4] الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 260 .

الإنتاج الأهم لبجاية خاصة بالمناطق الريفية [1].

وكما كانت مدينة بجاية تتوفر على تربة خصبة وأراضي فلاحية شاسعة وهذا بناءاً على قول الإدريسي (560 هـ/ 1165م) في ذلك : " بلاد زرع وخصب وفلاحتهم إذا كثرت أغنت وإذا قلّت كفت "[2] ؛ وحسبه فإن بجاية كانت محط أنظار التجار من مختلف الأقطار وأهلها تجار يتحكمون بالتجارة برّا وبحرا [3] ، واحتلّت بجاية المكانة الأولى لأكثر من نصف عمر الدولة ، فكان لها العديد من المزارع وكثرت بها الحنطة وجميع أنواع الفواكه [4] ، وكانت مدينة بونة كثيرة الحبوب وأشهرها القمح والشعير، وكانت بها تجارة مزدهرة وأراضي خصبة وبساتين وبها من الفواكه المختلفة والأشجار المثمرة والتين وغيره فيقول ابن حوقل (ت367هـ/977م) بشـــأن ذلك :"وبها من الأشجار والثمر والتين خاصة العظيم الجسيم مايحمل منه إلى البلاد النائية عنه "[5] ، وذكر أيضا عن جزائر بني مزغنّة بأنّها مدينة لها أسواق ومقصد للتجّار وكثيرة العسل والسّمن والتّين [6] ، وكذا مدينة وهران[7]، كانت خصبة الأراضي كثرت بها الحنطة كالقمح والشعير وبها بساتين وأجنّة وكثيرة الفواكه [8].

---

[1] إسماعيل العربي : دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية ، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1980 م , ص239 .

[2] الإدريسي : المصدر السابق ،ج1 ، ص261 .

[3] المصدر نفسه ، ص261 .

[4] عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص224 .

[5] ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص77 .

[6] المصدر نفسه ، ص78 .

[7] مدينة على البر الأعظم من المغرب بينها وبين تلمسان سرى ليلة وأكثر أهلها تجار لا يعدوا نفعهم أنفسهم . ينظر : (ياقوت الحموي : المصدر السابق ، م5 ، ص358) .

[8] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ص 77 – 78 .

ويصف لنا ابن حوقل(ت367هـ/977م) في كتابه صورة الأرض أهم المحاصيل التي كانت منتشرة بجزائر بني مزغنة فيقول :" وبها فواكه حسنة غزيرة وسفرجل معنق كالقرع الصغار وهو طريف وأعناب ... ولها بادية يشتارون العسل من الشجر والاجباح لكثرة النحل بالبلد[1] ولقد أخبرنا الجغرافيون عن مختلف هذه المنتوجات الفلاحية ولكن دون الإشارة أو ذكر أسماء الأنواع المزروعة إلا بعضها كالتين والتمور والسفرجل والجوز والتفاح ، ولقد كانت التمور موجودة بكثرة ببسكرة وطبنة" [2] ونقاوس، فلقد عرفت بسكرة بكثرة أشجار النخيل كما جاء في قصيدة لأحمد محمد المرودي :

ثُمَّ أتَى بسكرة النَّخِيـلَ قَد اِغْتدى فِي زَيِّه الجميـلَ [3]

وذكر لنا صاحب الإستبصار(عاش القرن6هـ/12م) بعض المدن التي كانت تابعة لبجاية الحمادية ووصف لنا بعض محاصيلها فذكر مدينة القل[4] قائلا :" وهي كثيرة الفواكه والخيرات والعنب فيها كثير وفيها تفاح جليل " [5].

وأضاف عن مدينة جيجل [6] بأنها كثيرة الأعناب ومختلف الفواكه التي تحمل إلى بجاية فقال :" وهي كثيرة العنب والتفاح والفواكه ، ومنها تحمل الفاكهة والعنب والرب إلى مدينة بجاية " [7].

---

[1] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 78 .

[2] مدينة قديمة عليها سور من طوب لم يكن من القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها افتتحها موسى بن نصير حين دخل إفريقية . ينظر : (البكري : المصدر السابق ر، ص 172) .

[3] المصدر نفسه ، ص52 .

[4] مدينة قديمة على ضفة البحر من بناء الروم وهي مرسى مدينة القسطنطينية ... كثيرة الفواكه والخيرات . ينظر : (ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، ص 127) .

[5] المصدر نفسه ، ص 126

[6] مدينة قديمة على البحر في نظر كبير وهي كثيرة الفواكه . ينظر : (المصدر نفسه ، ص 182) .

[7] المصدر نفسه ، ص 128

وذكر لنا القلقشندي(821هـ/1418م) بأن بجاية الحمادية قد تنوعت حبوبها فيقول : " وأن بها من الحبوب القمح والشعير والحمص والفول والعدس, والذرة "، وأخبرنا عن الفواكه فيقول :" وأما فواكهها فيها من الفواكه العنب والتين ، كل منها على أنواع مختلفة والرمان والسفرجل ، والتفاح ، والتوت الأبيض ... والزيتون "[1] ، إلى جانب بعض المحاصيل الزراعية التي كانت منتشرة بمناطق أخرى على غرار زراعة الـذرة والحمص والفول والقطن [2]، إضافة إلى وجود الجوز ببجاية وجيجل وسطيف [3] ، وإلى جانب الحقول تتوفر مدينة بجاية على العديد من الأجنة والبساتين وأهمها أشجار التين والجوز والزيتون [4]، كما وجد أيضا بقسنطينة ونقاوس ومرسى الدجاج بحيث كان يجفف ويصدر إلى الخارج [5]، ويرجع هذا التطور والإزدهار للفلاحة في الدولة الحمادية عامة وبجاية خاصة إلى توفرها على مناخ معتدل وأراضي فلاحية شاسعة تتلائم مع الكثير من المنتجات الزراعية إضافة إلى الحرارة المعتدلة وانتظام الفصول الأربعة ، هذا ما يمكن بدرجة كبيرة من نجاعة العديد من المنتجات الفلاحية التي تشتهر بها بجاية ، والتي حققت الإكتفاء الذاتي والفائض معا ، كما أن معدل تساقط الأمطار ببجاية يقدر بنحو

972 ملم ، وكل هذه العوامل الطبيعية جد مساعدة على تنوع المحاصيل[6]. وإلى جانب الثروات الفلاحية نجد أن الغابات كانت مصدر مهم ، حيث يقول الإدريسي (ت560

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى في كتابة الإنشا ، مصر ، المطبعة الأميرية ،1333هـ ،ج 5، ص 112 .

(2) إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص 189

(3) مدينة كبيرة عامرة جامعة ، كثيرة الأسواق رخيصة الأسعار . ينظر : (البكري : المصدر السابق ، ص 76).

(4) دومينيك فاليريا : المرجع ،ج 1 ، ص 264 .

(5) المرجع نفسه ، ص 265

(6) محمد شريف سيدي موسى : الحياة الإجتماعية والإقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الإحتلال الإسباني (6-10هـ/12-16م) رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط ، ص 216 .

هـ/1165م) " الخشب في جبالها وأوديتها كثير موجود " [7] فنجد اشجار الفلين الصنوبر

بغابات بجاية في حدود ارتفاع 1200 متر إلى 1300 متر ، فالخشب كان مصدر هام بحيث يستعمل لصناعة المرافق العامة من خلال قشوره وزفته ، ووفرة العديد من الأشجار التي تميزت بصلابة خشبها الزفت والقطران اللذان استعملا في دهن السفن[1] وهذا ماذهب إليه الإدريسي(ت560هـ/1165 بقوله :" ويجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة والقطران[2] وتوفرت أقاليم بجاية الحمادية على أشجار البلوط والأرز الذي ينمو بداية من 1300 متر إلى غاية 2300 متر بأعالي جبال جرجرة والبابور والأوراس[3] وهذه الخيرات من الأخشاب مكنت بجاية من تطوير العديد من الصناعات الخشبية كصناعة السفن وغيرها و الإنتفاع بها

الصيد وتربية المواشي :

إن الصيد وتربية المواشي وصيد الأسماك التي اعتبرت بدورها من القطاعات الثانوية عكس الجانب الفلاحي والصناعي [4]، إلا أن هذا لا ينفي عدم وجود تربية للمواشي فهناك وثائق تجارية كشفت على تصدير الصوف والجلود وهذا يدل على وجود تربية الماشية كالأغنام والماعز والأبقار[5]، كما اشتغل أهل بجاية على تربية النحل وميدان الصيد باصطياد الأسماك المتنوعة وصيد المرجان[6]، ولقد كانت تربية النحل منتشرة في

---

[7] الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ،ص264 .

[1] دومينيك فاليريا :المرجع السابق ،ج1 ، ص ص270-271 .

[2] الإدريسي : المصدر السابق ، ج1، ص260

[3] دومينيك فاليريا :المرجع السابق ،ج1 ، ص271 .

[4] إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص189 .

[5] دومينيك فاليريا :المرجع السابق ،ج1 ، ص272 .

[6] عمار عمورة : المرجع السابق ، ص 62 .

مدينة القل ، ودودة الحرير التي كانت تربى بقسنطينة [7]، وكانت تربى الغنم والبقر بمرسى الدجاج ، وبذلك فلقد كانت بها اللحوم بكثرة وبشتى أنواعها[1] ، وبونة كانت تجارتها الغنم والصوف والماشية[2] ، وكانت تدلس[3] وجيجل تعرفان بتربية الغنم والبقر ويصدران إلى الخارج ، وتيهرت تعرف بإنتاج النحل وكل أنواع البقر والغنم والعسل والسمن وغيرها [4].

ولقد أجمع العديد من المؤرخين الجغرافيين على غرار القلقشندي بأن مدينة بجاية كانت معروفة بتربية الخيل والإبل والغنم والضأن والماعز ، وطيورها ففيها الدجاج والإوز والحمام الكثير[5].

كما عرفت بجاية وجيجل بصيد الأسماك والمرجان ، فلقد كانت صيادة الأسماك منتشرة بالسواحل كونه كثير العدد ، كما انتشر صيد المرجان بمرسى الخرز ، وصنف من أجمل المرجان الموجود بالبلاد ، فكانت بجاية مقصد التجار من سائر الأقطار[6] ، بحيث كان يستخرج المرجان ومختلف المعادن لبيعه ويعمل به قرابة الخمسون قاربا في كل قارب عشرين رجلا , ويقول ابن حوقل(ت367هـ/977م) في ذلك :" ويعمل بها في

---

[7] دومينيك فاليريا : المرجع السابق ، ص 274 .

[1] الإدريسي : المبصدر السابق ، ج1 ، ص 259 .

[2] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 77 .

[3] هي مدينة متحصنة لها صور حصين ومتنزهات وبها رخص أسعار الفواكه والمطاعم . ينظر : (الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ، ص259).

[4] رشيد بورويبة : الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1497هـ ، ص 135.

[5] القلقشندي : المصدر السابق ، ج5 ، ص113 .

[6] رشيد بورويبة : المرجع السابق ، ص 135 .

أكثر الأوقات في إثارة المرجان الخمسون قاربا ، وما زاد على ذلك بما في القارب العشرون رجلا " [7].

[7] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ص 76 – 77

ب- المنتوجات الصناعية :

لقد أدرج لنا ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م) ،في كتابه معجم البلدان مدى ارتباط الأنشطة الإقتصادية وازدهارها ببجاية ، عكس ماكانت عليه بالقلعة ، فإن ابن البعبع لما اقترح على الناصر بن علناس تأسيس عاصمته الثانية بجاية كان مدركا للدور الفعال الذي سوف تلعبه هذه العاصمة في المجال الصناعي [1] .

الصناعة كما عرفها لنا ابن خلدون(ت 808هـ/1406 م) " هي ملكة في أمر عملي فكري وبكونه عمليا هو جسماني محسوس... ، وأن الصانع منها البسيط ومنها المركب"[2] ، وقال تعالى { وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحَصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ } [3]، وقال أيضا { وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } [4]، ولقد برزت بجاية كقوة صناعية للدولة الحمادية ، وهذا راجع ال

- وفرة الموارد الطبيعية : لقد توفرت ببجاية العديد من الموارد الطبيعية وعلى رأسها الحديد والخشب ففي مجانة وبونة نجد الفضة والرصاص ، وهذه الموارد كانت العامل الأساسي في تطور الصناعة ، إلى جانب ذلك وجد النحاس في جيجل [5].

---

[1] ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 339 .

[2] ابن خلدون : المقدمة ، المصدر السابق ، ص 202 .

[3] سورة الأنبياء : الآية [80] .

[4] سور الكهف : الآية [104] .

[5] رشيد بورويبة : المرجع السابق ، ص 136 .

فقد ذكر الإدريسي (ت560هـ/1165م) في كتابه، أن مادة الخشب متوفرة في أعالي جبال بجاية ومختلف أوديتها [1]، وذكرة بعض المراجع المتخصصة بالعهد الحمادي وأكدة على وجود الحديد ببجاية وبونة ،والمرجان بمرسى الخرز إضافة إلى البرونز والفضة [2].

إن طول الشريط الساحلي الذي تتمتع به بجاية مكنها من احتضان العديد من الصناعات ، فهي كانت نشيطة صناعيا ، وذلك لتوفرها على موانئ عديدة مما سهل عليها جلب المواد الصناعية ، خاصة تلك المتعلقة بالبحر [3]، ولقد أسست بجاية العديد من الأسباب فهذا الأخير كان السبب في ازدهار وتطور الحركة التجارية وقيام العديد من الصناعات المختلفة ، ومكن البحر البجائيون من حرية وسهولة التنقل عبر منافذ البحر لجلب مختلف المواد الأساسية التي تمكنهم من الصناعات المختلفة [4].

❖ **الصناعة الخشبية :**

مكنت المادة الأولية التي زخرت بها بجاية والمتمثلة في مادة الخشب من احتلال مكانة في هذا المجال حيث يشير الإدريسي(ت560هـ/1165م) أن بجاية كانت معروفة بصناعة السفن فيقول : " إن بها دار الصناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب ، لأن الخشب في جبالها وأوديتها كثير موجود " [5]، فاشتهرت بصناعة السفن التجارية والحربية فالتجارية التي كانت تحمل المواد التجارية من غلاة كالأخشاب ومختلف المواد الأخرى الموجهة للتجارة بها أما الحربية فهي التي كانت تبنى لغزو العدو وتشحن بالسلاح وآلات

---

(1) الإدريسي : المصدر السابق ، ج1، ص 260 .

(2) عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص 226 .

(3) المصدر نفسه ، ص 228 .

(4) دومينيك فاليريا : المرجع السابق ، ج2 ، ص 654 .

(5) الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 260 .

الحرب ، وقد ذكر صاحب الإستبصار(6هـ/12م) أن من بجاية تغزا بلاد الروم فإنها ليس بينها وبين صقلية ثلاث مجار[1]، ومن بين السفن الحربية التي اشتهرت بها بجاية :

– الحرابي[2] وقد ذكر الإدريسي(ت560 هـ/1165م) أن في بجاية دار للصناعة تصنع بها المراكب والسفن والحرابي [3].

– الأغربة [4] ففي سنة (530 هـ / 1135 م) أخذ صاحب المهدية الحسن ابن علي (ت515–543/1121م–1148و) من أسطول بجاية غرابين [5] ، وبعد أن تغلب الروم على المهدية سنة (543 هـ / 1148 م) و كتب معد ابن المنصور صاحب الديوان إلى بجاية ، فجاءه غراب منها، قطع فيه مع بنيه وسار إلى بجاية [6].

كما عرف مرسى الخرز هذه الصناعة ، حيث يذكر البكري(487هـ/1094م): " أنه في هذه المدينة تنشأ السفن والمراكب الحربية التي تغزا بها بلاد الروم" [7].

إضافة إلى صناعات أخرى مادتها الأولية الخشب نجد صناعة الأثاث المختلفة ومقابض الأبواب ، والدليل على ذلك هو الصندوق المصنوع من الخشب ذو القفل البرونزي الذي

---

[1] ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، ص 130 .

[2] مفردها حربية قطعة تماثل الزورق الموجه للأغراض الإقتصادية . ينظر : (موسى هيصام : " الجيش في العهد الحمادي (405 – 547 هـ/ 1014 – 1152 م) "، مذكرة لنيل درجة الماجستير ، جامعة الجزائر، 2000–2001 م ، ص 50) .

[3] الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 260 .

[4] جمع غراب وهي أقدم وأشهر السفن الحربية ، كانت معروفة لدى القرطاجيين والرومانيين وغيرهم ولم تزل معروفة ، واسمها مأخوذ من اسم الغراب ، لأن القدماء كانوا يصنعون سفنهم على أشكال الطيور . ينظر : (عبد الفتاح عبادة : سفن الأسطول : أنواعها ومعداتها ، مصر : مطبعة الهلال ، 1913 م ، ص 07) .

[5] ابن عذارى : البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد ، ط1 ، تونس: دار الغرب الإسلامي 1434هـ ،ج1 ، ص 346 .

[6] المصدر نفسه : ص 347 .

[7] البكري : المصدر السابق ، ص 55 .

كان مشهور ببلاد القبائل ، وهناك بعض الصناعات الخفيفة التي كانت تسد حاجيات السكان[1].

❖ **الصناعة النسيجية :**

اشتهرت بجاية بتصنيع الملابس المختلفة ذات الجودة العالية [2]، بحيث اشتهرت صناعة العمائم المطرزة بالذهب والمصنوعة من الشرب (القماش الرقيق) ، فكانت بأتقن صنعة تأتي تيجانا وكان ببلادهم (الحماديين) صناعٌ لذلك ، يأخذ الصانع على تعميم العمامة الواحدة " دينارين وأزيد " ، وكان لهم قوالب من عود في حوانيتهم يسمونها الرؤوس ، يعممون عليها تلك العمائم[3]، وهكذا وصف صاحب الإستبصار(6هـ/12م) هذه الصناعة إضافة إلى ذلك كانت صناعة الغزل والنسيج رائجة ببجاية والتي تعتمد على النساء بدرجة كبيرة وبتوفر الصوف والقطن[4]، وعلى غرار العمائم نجد هناك ملابس عديدة كانت تصنع ببجاية وقد ذكر البيذق أن ابن تومرت لما دخل بجاية ، ونزل بمسجد الريحانة وكان ينهى الناس عن الأقراق (شبه الخف) والزرارية وعمائم الجاهلية ولباس الفتوحيات اللباس يشبه المنصورية [5]. وكدلالة واضحة على الأهمية والمكانة التي تحتلها هذه الحرف في نفوس الحماديين بالإضافة إلى التحفيزات والتشجيعات المادية والمعنوية التي يقدمها الحكام للحرفيين والصناع خاصة في عهد الناصر بن علناس[6].

---

(1) عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص 228 .

(2) الهادي روجي إدريس : الدولة الصنهاجية –تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 الى 12م –، ترجمة : حمادي الساحلي ،ط1 ،لبنان : دار الغرب الإسلامي ،1992 ،ج 2 ، ص 254 .

(3) ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، ص 129 .

(4) إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص 239 .

(5) البيذق : أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، الرباط : دار المنصور ، 1971 م ، ص 13 .

(6) سرحاني عائشة وإسماعيل بريكل : " الدور الحضاري لقلعة بني حماد (408 – 461 هـ/ 1017– 1170 م)" ، مذكرة لنيل شهادة أستاذ تعليم ثانوي ، جامعة بوزريعة ، 2007 – 2008 م ، ص27 .

ونجد صناعة الفخار والخزف والزجاج التي كانت منتشرة بالقلعة وبجاية ، فالقطع التي اكتشفها المنقبون والمتواجدة حاليا في متحف الجزائر فبها زخارف هذه البقايا ذات اللون البني والأخضر تدل على ما بلغه من إبداع وتطور في هذا المجال[1]، ولقول الله تعالى في مجال الحرف { وَهُوَ الذِي سَخَّرَ البَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا } [2]، وكان لبجاية حرفيين يتقنون فن صناعة الأواني المنزلية والحلي الذهبية والفضية والكثير من الصناعات المتعلقة بالزينة وفنون التصاميم[3]، كما امتاز المجتمع البجائي بصناعة مختلف القارورات الزجاجية ، لكن شهرة بجاية ترجع بدرجة كبيرة إلى صناعة الشمع الذي كان يصدر للعديد من الدول الأوربية ، حيث عرفت باسم الشمعة Bougie [4] .

وإلى جانب هذا نجد الحياكة والخياطة حيث يذكر ابن خلدون (808هـ/1406م) بأن " الأولى لنسيج الغزل من الصوف والكتان والقطن أسداد في الطول وإلجاما في العرض وإحكاما لذلك النسيج بالألتحام الشديد ، فمنها الأكسية من الصوف للإشمال ومنها من ثياب القطن والكتان للباس ، والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات على اختلاف الأشكال والعوائد تفصل بالمقراض قطعا مناسبة للأعضاء البدنية ثم تلتحم تلك القطع بالخياطة المحكمة "[5]، واعتبر ابن خلدون بأن هتان الصنعتان ضروريتان للعمران ومنتشرة بالمدن على غرار أهل البدو[6]، وكانت هذه الحرفة خاصة بالنساء وكانت تمارس في البيوت وهناك سوق خاصة للغزل .

---

(1) إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص 240 .

(2) سورة النحل : الآية [14] .

(3) عمار عمورة : المرجع السابق ، ص 62 .

(4) إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص 248 .

(5) ابن خلدون : المقدمة ، المصدر السابق ، ص 516 .

(6) المصدر نفسه ، ص 517 .

وانتشرت حرفة الخياطة بالدولة الحمادية بحيث أشار ابن القوطية إلى وجود خياطين بمدينة تيهرت ، بحيث كانوا يخيطون للحكام ومنهم من يخيط للعامة [1] إلى جانب ذلك وجدت الصباغة وهي صناعة تعمل على تلوين المنتوجات بمختلف الألوان ويكنى صاحبها بالصباغ وهي مرتبطة بصناعة الأنسجة ، وقد استعملت الصبغات الحمراء والزعفران بمجانة [2].

[1] إيمان عبادي ونجية حبرش : " الحرف والحرفيون في المغرب الأوسط من خلال كتب الرحلة (4 –9 /10–15م)" ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، جامعة يحي فارس ، المدية : 2015 – 2016 م ، ص 53 .

[2] المرجع نفسه ، ص 54 .

2- الأسواق :

تعتبر الأسواق من المرافق الضرورية والأساسية لأي دولة ولا تقتصر أهميتها في كونها موضع للتعاملات والتبادلات التجارية بل إنّها تعكس مختلف التفاعلات الحضارية بين مختلف شرائح المجتمع كما أنها موضع يشتمل على حاجيات الناس المختلفة كالبصل الثوم الحنطة وغيرها وما هو زائد عن اللزوم مثل الفواكه والملابس والأواني [1].

كما أن الأسواق هي المجال التي تتم فيه العمليات التجارية من بيع وشراء ومن حيث هيكلة السوق في المدينة فهو عبارة عن مجموع من الحوانيت والمصانع إضافة إلى المخازن التي تكون مخصصة لحفظ أنواع السلع المختلفة [2] كـما ورد في قوله تعالى {... وقَالوا مَالِ هذاَ الرسُّولِ يأكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي في الأَسْواقِ لَوْلآ أُنْزِلَ إليْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً... } [3] وقد تعددت الأسواق ببجاية الحمادية فكان بها خمسة أسواق مشهورة ، سـوق قيسارية، وسوق باب البحر، سوق الصوافين ، وسـوق بجانب حومـة المذبح وكان هذا الأخير سوقًا لتجارة العبيد [4] ، أما سوق باب البحر **(ينظر الملحق02)** فيبدو أنه كان سوقا لبيع الخمر لأن المهدي الموحدي لما وصل هناك أهرق الخمر وقال المسلم تمار و الكافر خمار [5].

وعلى غرار هذه الأسواق هناك أسواق أخرى منتشرة بالمدن والقرى (بونة وباغايا وسطيف ومجانة ...)، وسميت الأسواق ببجاية الحمادية باليوم الذي تعقد فيه كسوق

الإثنين وسوق الخميس وسوق الأحد وغيرها ، وقد كان لهذه الأسواق دور فعال في تنشيط

---

[1] ابن خلدون : المقدمة ، المصدر السابق ، ص453 .

[2] محمد بن ساعو : المرجع السابق ، ص112 .

[3] سورة الفرقان : الآية [6 – 7] .

[4] الغبريني : المصدر السابق ، ص 45 ، 175 ، 178 ، 195 ، 250 .

[5] البيذق : المصدر السابق ، ص 13 .

الأسواق البجائية ، بحيث استفادت بجاية من حركتها التجارية ووفود التجار عليها.

ومنها ما ذكره، الإدريسي(ت560هـ/1165م) عن الأسواق القريبة من بجاية قائلاً :" والطريق من مدينة بجاية إلى القلعة يخرج إلى مضيق سوق الأحد ؛ وسوق الأحد وصفه بأنه رخيص في الأسعار وبه العديد من الفواكه واللحوم المختلفة ، وذكر سوق الخميس الواقع من حصن تاكلات و تادرفت إلى حصن بكر والذي هو كثير البيع والشراء[1]. ومدينة طبنة بها أسواق عامرة كثيرة الخيرات [2] وذكر سوق الإثنين الواقع بجوار قصر محصن وبه العديد من الرجال يحرسونة ، وتوجد أيضا بمدينة نقاوس أسواق قائمة كثيرة المنتوجات ويضاف إلى هذه الأسواق سوق بسكرة الذي يتميز بجودة أنواع التمور حيث وصفها الإدريسي بقوله : " وبه سوق وعمارة وبه من التمر كل غربية وطريفة "[3] وكما كانت مدينة قسنطينة عامرة من حيث السكان وبها تجار وأسواقٌ كثيرة الحنطة وكان أهلها يجالسون التجار العرب ، كما أنّ لمازونة أسواق عامرة بالخيرات، وسوقها يكون بيوم معلوم متفق عليه من قبل التجار ويقصده البربر وتباع فيه جميع البضائع وكالألبان والأسمان والفواكه والعسل وغيرها[4].

وكشف لنا ابن حوقل (ت367هـ/977م) بأنه كان لباغايا أسواق كثيرة التمر يقصدها التجار لوفرة منتجاتها فيقول في ذلك :" وهي على بحر ولها أسواق طيبة وتجارة مقصودة وأرباح متوسطة وفيها خصب ورخص موصوف"[5] كما اشتهرت بالغنم والصوف والعسل، وأضاف بأن جزائر بني مزغنة عرفت هي الأخرى أسواق كثيرة تنوعت فيها المنتوجات والسلع [6]

---

[1] الإدريسي : المصدر السابق ،ج1 ، ص262 .

[2] المصدر نفسه ، ص264 .

[3] المصدر نفسه ، ص265 .

[4] المصدر نفسه ، ص 265 ،272 .

[5] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 77 .

[6] المصدر نفسه ، ص ص 77-78 .

ثالثا : آليات وأدوات التعامل التجاري ببجاية الحمادية .

1- نظام السكة :

تعتبر السكة[1] من رموز استقلال الدولة ولذلك نجد المعز بن باديس لما كان يدين بالطاعة للعبيدين بمصر كان يتعامل بالسكة العبيدية ، وبعد أنّ قطع الدعوة لهم سنة (440هـ/1048م) أمر باستبدال السكة سنة (441هـ/1040م) وإزالة أسمائهم من جميع الدنانير والدراهم ، وضرب الدينار المسمى بالدينار التجاري[2]، تعبيرا عن استقلاله عنهم.

وقد ضرب الحماديون السكة ، ويبدوا أن أول من ضربها باسمه من بني حماد هو المنصور بن الناصر صاحب بجاية [3] ، ولم يصف لنا ابن خلدون(ت808هـ/1406م) نقوده ، بل وصف نقود يحي بن عبد العزيز كتابه العبر قائلاً : " عبارة عن ثلاثة سطور ودائرة في كل وجه ، فدائرة الوجه الواحد : (وَاتَّقوا يَومَ تُرْجَعونَ فِيه إِلى الله ثُمَّ تُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَاكَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ، والسطور (لَا إِلَهَ إِلا الله وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ، يَعْتَصِمُ بِحَبْل الله يَحْي بنُ عَبدْ العَزِيزْ بِالله الأَمِيرْ المَنْصُورْ) ، ودائرة الوجه الآخر:(بسم الله الرحمــن الرحيـم ضرب هذا الدينار بالناصرية سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة)" [4] ،

---

[1] هي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه حوارا وكلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة ... .ينظر : (ابن خلدون : المقدمة ، ص 322) .

[2] ابن عذارى : المصدر السابق ،ج 1 ، ص 304 .

[3] المصدر نفسه ، ص 324 .

[4] ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، المصدر السابق ، ص 235 .

وكانت السكة الفاطمية ثم العباسية سائدة في العهد الحمـادي قبل ضرب سكة المنصور[1]، وكانت الدنانير تضرب باسم الملك بالعهد الحمادي ، فتفرقت الدراهم إلى نوعين منها القديم والجديد ولها وزن واحد ووجه الاختلاف بينهما يكمن في أن القديم مغشوش ، فيكون مصنوع من نحاس ، بينما الجديد فهو خالص مصنوع من الفضة [2].

وتمكنت الدولة الحمادية من غزو البلاد ورواج تجارتها خاصة تجارة الذهب نحو السودان الغربي ، وبهذا فلقد اشتهرت وعرفت السكة الحمادية وهو الذي ساعد في ازدهار تجارتها وتطوره [3]، وإلى جانب العملة الفاطمية والعباسية التي سبق وأن أشرنا إليها ، كان الحماديون قد استخدموا العملة المرابطية وخير دليل هو إيجاد العديد من الدنانير المرابطية عند القيام بإصلاح جامع سيدي أبي مروان بعنابة ، كما أن قيمة الدينار الحمادي كانت متغيرة بالنسبة إلى الدرهم عبر السنين ، فادينار الذي يساوي 8 دراهم سنة (362هـ/972م) أصبح يساوي 35 درهمًا سنة(441هـ/1009م) ، وهذا مايدل على تغيره وتغير قيمته [4]

كما انتشرت ظاهرة غش وتزييف العملة ، بحيث قد امتزجت الدراهم بنسبة كبيرة ، ومن مظاهر الغش في العملة بالمغرب الإسلامي عامة والدولة الحمادية في طورها الثاني خاصة أن تكون السكة غير خالصة ، وتكثر بها نسبة النحاس أو أن تكون فاسدة أو ناقصة في الوزن ، فانتشار الغش بالعملة مرتبط بقوة وضعف الدولة ،فإذا كثر الغش فهذا

---

[1] عمار عمورة : المرجع السابق ، ص 62 .

[2] القلقشندي : المصدر السابق ، ص 114 .

[3] محمد شريف سيدي موسى : المرجع السابق ، ص 240 .

[4] رشيد بورويبة : المرجع السابق ، ص146 .

دليل على ضعف الدولة والعكس صحيح في ذلك [1].

وليست متوفرة لدينا سوى معلومات قليلة حول السكة الحمادية ، فالنقود الأولى كانت شبيهة بنقود بني زيري والنقود الثانية كانت مفضضة وأقل قيمة [2]، ولقد أفادنا الصالح بن قربة في كتابه المسكوكات بأن الأمير يحي بن عبد العزيز أول من نقش إسمه على النقود من الأمراء الذين قبله ، وقد ذكر التاريخ والمكان الذي ضربت فيه العملة ، وهذا ما يدل على وجود دار السكة ببجاية الناصرية .

كما عثر المنقبون بقلعة بني حماد على دينار ذهبي مؤرخ سنة (543هـ/543هـ/1148م) وكان هذا الأخير مماثلا تمامًا لما ذكره ابن خلدون في نصه[3]، وأشار صاحب كتاب الاستبصار إلى وجود دنانير تضرب ببلد واركلان ، وهي دنانير مشهورة شبيهة بالدنانير المرابطية [4].

[1] محمد بن ساعو : المرجع السابق ، ص 51 .

[2] الهادي روجي إدريس : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 262 .

[3] صالح بن قربة : المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، تلمسان :صدر عن وزارة الثقافة الإسلامية ،2011 ، ص513 .

[4] ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، ص 224 .

2- الأوزان والمكاييل :

إلى جانب العملة اتخذ الحماديين الأوزان والمكاييل كأدوات أساسية لتحديد حجم السلع وسعرها ولتسهيل مختلف المعاملات التجارية ، كما أورد لنا القرآن الكريم وحث على العدل في الميزان فقال تعالى { وَيَاقَوْمُ أُوفُوا المِكْيَالَ وَ المِيزَانَ بِالقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَ لَا تَعْثُوا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ } [1] وقال أيضاً { وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يَخْسِرُونَ (3) } [2] , وتختلف المكاييل والموازين من دولة لأخرى ، ولكن الشيء المتفق عليه هو أن هناك مواد تباع بالوزن ومواد أخرى تباع بالكيل .

❖ **الموازين** : تنوعت الموازين بالمغرب الإسلامي بصفة عامة والدولة الحمادية في مرحلتها الثانية على وجه الخصوص ، وقد اختلفت مقاديرها وكيفية التعامل بها , ومن أهم الأوزان التي كانت تستخدم بكثرة وشائعة بالعهد الحمادي هي : المثقال والدرهم والصنجة والوقية والقنطار[3].

- **الصنجة** : وهي كلمة فارسية معربة وهي ما اتخذ من أحد المعادن أو الأحجار ليعار بها مقادر وزن من الأوزان التي تسري بين الناس في معملاتهم قلية أو كثيرة ، وجمعها صنجات ويقال لها سنجة وجمعها سنجات [4]، ولقد كانت الصنجة من الأوزان المصنوعة من الزجاج ، وقد تكون من الأحجار، فلقد عثر الجغرافيون بقلعة بني حماد عن العديد من الصنوج منها صنجة باسم الخليفة الفاطمي [5].

---

[1] سورة هود : الآية [84] .

[2] سورة المطففين : الآية [1 – 2 – 3] .

[3] رشيد بورويبة : المرجع السابق ، ص 147 .

[4] نزيه حماد : المرجع السابق ، ص 283 .

[5] رشيد بورويبة : المرجع السابق ، ص 147 .

ويذكر صاحب كتاب الاستبصار أن بين مدينة جيجل وبجاية على ساحل البحر موضع يسمى المنصورية " في جبل عظيم ... فيه ثقب في غلظ حجر الربع الموزون به " [1].

كما أن الصنج أو الصنجة أو ميزان الزجاج المستعمل لوزن النقود هو يحمل طابع مماثلا لطابع الرطل[2]، كما أن الصنجة لم تذكر كثيرا في المصادر التي كتبت عن المكاييل والموازين الحمادية فنجد بعض الإشارات فقط عنها ، وإلى جانب الصنجة استعمل الحماديون :

– **المثقال** : وهو وحدة للوزن يعادل وزنها الدينار تقريبا وكان درهم الكيل يعادل درهم الوزن ، ووزن المثقال حوالي 4.21 إلى 4.25 غرام ، وكان الدرهم المستعمل يزن 7 / 10 من المثقال[3]، كما أن المثقال يساوي وزن اثنين وسبعين حبة من حبات الشعير المتوسطة الحجم ، والمثقال حوالي أربعة غرامات من الذهب[4]، والمثقال الكبير يزن حوالي 4.72 غ و قدره واحد شعيرة ومقدار الشعيرة 472 والمثقال الخفيف 4.53 غ وقدره 96 شعيرة [5] .

– **الرطل** : ويعرفه ابن منظور في كتابه لسان العرب فيقول : " هو الذي يوزن به ويكال رواه ابن السكيت بكسر الراء وقال ابن الأعربي : الرطـل اثنتا عشر أوقيـة بـأواقي العرب ، والأوقية أربعون درهما قد لك أربعمائة وثمانون درهما وجمعه أرطال " [6] ، وكان

---

[1] ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، ص 128 .

[2] الهادي روجي إدريس : المرجع السابق ، ج2 ، ص 147 .

[3] رشيد بورويبة : المرجع السابق ، ص 128 .

[4] محمد بن ساعو : المرجع السابق ، ص 59 .

[5] أمينة حجام وحنان قاسم : الموازين والمكاييل في الدولتين الزيرية (363 – 543 هـ / 472 – 1048 م) والحمادية (405 – 547 هـ / 1014 – 1152 م) ، مذكرة في تاريخ وحضارة العصر الوسيط ، المدية ، 2015 – 2016 ، ص 82 .

[6] ابن منظور : المصدر السابق ، م 3 ، ص 1665 .

الرطل مستعملا بمدينة تنس وتاهرت بكثرة ، فنجد رطل من اللحم ورطل من المواد الاستهلاكية المختلفة ووزن رطل من اللحم يساوي إلى 67 أوقية ، بينما نجد رطل آخر يساوي 22 وقية في تنس [1] ، وتختلف الأرطال بحسب المادة التي وزنت بها ، فيقال رطل فلفلي أو رطل لحم [2] ، كما أن الرطل المستعمل في الكيل هو البغدادي ، ماعدا بالنسبة إلى الفلفل ، بحيث أن هذا الأخير يفوق الرطل البغدادي بعشرة دراهم كيل [3] ، ولقد ذكرت لنا العديد من المراجع عن المفارقة بين تونس وبجاية ، فرطل اللحم بتونس يعادل 10 أرطال فلفلية وببجاية 20 رطلا فلفليا [4] ، وكان رطل تونس يزن حوالي 12 أوقية ويساوي 12 درهما بينما في القيروان الرطل المستعمل لوزن اللحوم والتين والمواد الأخرى تساوي عشرة أرطال فلفلية .

وكان القمح في باغاية يكال بلوبية تساوي 64 مد نبويا [5] ولقد تنوعت الأرطال واختلفت مقاديرها فالأرطال الكبيرة استعملت في وزن المواد الرخيصة والأرطال الصغيرة في وزن المواد الغالية الثمن ، أما الأرطال المتوسطة فاستخدمت لوزن المواد ذات القيمة المتوسطة [6]، وأضاف ابن حوقل(ت380هـ/977م) في اختلاف وزن الرطل قائلا :" ورطل اللحم بالأندلس تسعة أرطال ونصف بالفلفلي، والفلفلي خمسة أوقية بالبغدادي ، ورطل القيروان فلفلي أيضاً إلاّ رطل اللحم فإنه اثنا عشر أوقية " [7] ، ويدل كلامه أيضا بأن الرطل بالعهد الحمادي كان منتشرا كثير.

---

[1] الهادي روجي إدريس : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 268 .

[2] محمد بن ساعو : المرجع السابق ، ص 59 .

[3] الهادي روجي إدريس : المرجع السابق ، ج 2، ص 264 .

[4] رشيد بورويبة : المرجع السابق ، ص 147 .

[5] الهادي روجي إدريس : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 264 .

[6] أمينة حجام و حنان قاسم : المرجع السابق ، ص 82 .

[7] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 262 .

– **الأوقية** : وجاء تعريفها على لسان ابن منظور قائلا :" بضم الهمزة وتشديد الياء زينة سبعة مثاقيل وقيل زينة أربعين درهم "[1]، وهي وحدة من وحدات الوزن وقد اختلف وزنها من منطقة لأخرى ، وقد استعملت بالمغرب الإسلامي عامة وببجاية الحمادية خاصة ، وكانت الأوقية تسوي 3÷2 ×7 دينار و 3÷2 ×10 درهم [2] ، وتشير بعض الدراسات بأنها تساوي 37.776 غ [3] .

– **الدرهم** : لقد تعامل الحماديون بالدرهم في أوزانهم فذكرت بأن دراهم تنس تساوي 1.888 غراما ودراهم ارشقول تساوي ثماني خروبات أي : 8×0.236 = 1.888 غراما ، بينما يختلف في البلدان الأخرى فيساوي 3.148 غراما ، كما أنّ للدرهم العديد من الأجزاء كربع الدرهم وكان منتشر بمدينة تنس ، والخروبة وزنها 0.236 غراما [4].

– **القنطار** : ويعرفه ابن منظور(ت711هـ/1311م) قائلا:" أبي عبيد : ألف ومائتا أوقية وقيل سبعون ألف دينار وهو بلغة بربر ألف مثقال من ذهب وقال ابن العباس : ثمانون ألف درهم ، وقيل : هي حملة كثيرة مجهولة من المال ، وقال السدي : مائة رطل من ذهب أو فضة ...، وروى أبو هريرة في حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : القنطار اثنا عشر ألف أوقية " [5]، وكان يستعمل القنطار في العهد الحمادي في وزن الزيوت وسائر البضائع المجلوبة المختلفة ، بينما القنطار الفلفلي فكان يستخدم لوزن الفلفل والعديد من البضائع المجلوبة والمختلفة [6].

---

[1] ابن منظور : المصدر السابق ، م 3 ، ص 171 .

[2] أمينة حجام و حنان قاسم : المرجع السابق ، ص 83 .

[3] جودت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق ، ص 181 .

[4] المرجع نفسه ، ص 181 .

[5] ابن منظور : المصدر السابق ، م 5 ، ص 3753 .

[6] رشيد بورويبة : المرجع السابق ، ص 148 .

ولقد ظهر القنطار بتيهرت ، حيث اختلف المؤرخون بتقدير وزنه بالضبط ، ويختلف من منطقة لأخرى والقنطار يساوي 35.417 كيلوغراما ، بينما يرى الواقدي بأن القنطار يساوي 35.7 كيلوغراما بإفريقية وهناك تفاوت بين وزن القنطار بتيهرت وقرطبة، فالقنطار القرطبي يساوي 49 كيلوغراما، فإن قنطار الزيت بتيهرت حوالي 82 كيلوغراما أي قنطاران غير الثلث بوزن قرطبة ، وكان قنطار الفلفل بتيهرت يساوي 49 كيلوغراما[1]، فكانت الأوزان مصنوعة من الزجاج والرصاص ، وكانت مطبوعة بها اسم الحاكم ، ويعاقب كل من يتلاعب بالميزان أو يقوم بتزوير أداة من أدوات الأوزان[2].

❖ **المكاييل** : تعتبر المكاييل عنصر ضروري في التعامل بها في الأسواق ومختلف المعاملات التجارية ،كونها المعيار الأساسي للاقتصاد في الدولة ، وهو الذي يبرز مكانة ومدى تطور وتخلف الدولة ، ولقد استعملت العديد من المكاييل ببجاية الحمادية وأكثرها استخداما هي المد والويبة والصحفة والقادوس والقفيز[3].

– **المد** : وهو ضرب من المكاييل وهو ربع صاع وقدر بمد النبي صلى الله عليه وسلم والصاع خمسة أرطال[4]، والمد المستخدم بالعهد الحمادي هو المد النبوي والذي بدوره يساوي 0.733 لتر[5].

---

[1] جودت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق ، ص 183 .

[2] المرجع نفسه ، ص 183 .

[3] رشيد بورويبة : المرجع السابق ، ص 148 .

[4] ابن منظور : المصدر السابق ، م 5 ، ص 114 .

[5] رشيد بورويبة : المرجع السابق ، ص 148 .

وذكر القلقشندي (ت821هـ/1418م) بأن كيل الرطل يساوي ست وعشون أوقية مع العلم أن كل أوقية تعادل أحد وعشرون درهما[1]، وكان المد في تيهرت يساوي خمسة أقفزة ونصف قرطبية ، كما يختلف كيله في العديد من المناطق[2]، ويعرف بالقيروان بالمد القروي حيث يعادل ثمانين أوقية [3].

– **القفيز** : ويساوي ستة عشر رطلا وقد يكون أماّ بالزيادة أو بالنقصان بحسب المكيل ، إضافة إلى نصف القفيز والثلث وربع وكل واحد مجزأ منه ، وهو مكيال متوفر بالأسواق والحوانيت ،إضافة أنه يوجد كيل صغير وهو جزء من أربعة وعشرين جزءا من القفيز[4]، وكان القفيز يستعمل لكيل السوائل كالزيت والحبوب ودليل ذلك قول القاضي ابن غانم لخادمه : " ادفع لأبي الوزان خمسة أقفزة قمحا ، وخمسين قفيزا زيتا " [5].

ويختلف مكيال القفيز من ناحية لأخرى فالقفيز بالقيروان يساوي اثنان وثلاثون ثمنا والثمن ستة أمداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم أي يساوي : 32× 6 = 192 مد نبويا .
ولقد نبهت بعض المصادر والمراجع إلى وجود زيادة في مقدار القفيز هي اثني عشر مد

ومنه فإن إضافة إلى وجود نصف القفيز وربعه الذي يساوي 204 ÷ 4 = 51 مد نبويا ، وربع النصف ويساوي 204 ÷ 8 = 255 مد نبويا[6].

---

[1] القلقشندي : المصدر السابق ، ص 114 .
[2] جودت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق ، ص 184 .
[3] محمد ساعو : المرجع السابق ، ص 58 .
[4] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 263 .
[5] جودت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق ، ص 185 .
[6] المرجع نفسه ، ص 186 .

– **الويبة** : استعملت الويبة طيلة الفترة الحمادية في مختلف المعاملات التجارية ، وكانت تساوي 64 مدنبويا[1]، كما أنها كانت تستخدم لكيل الحبوب فذكرها الدباغ في عبارته: " أخرج له ويبتين قمحا "[2] ، كما أنها تساوي أربعة أثمان أي 4 × 6 = 24 مد قرويا ولمعرفة كم تساوي بالمد النبوي 192 ÷ 24 × 204 = 25.5 مد نبويا[3]، وقد كان أهل باغاية يأكلون الطعام بالويبة وهي أربعة وستون مد نبويا وتساوي قفيز ونصف بكيل أهل قرطبة [4]، كما استخدم الحماديون إلى جانب الويبة .

– **القادوس** : وهو مكيال يعدل ثلاثة أمداد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد استخدمها أهل تيهرت وتنس [5]، وثلاث أمداد تساوي 3.159 لتر ماء ، واتفقت أغلب المراجع بأن القادوس بتيهرت كان مدهم يساوي خمسة أقفزة ونصف قرطبية [6].

– **الصحفة** : كانت تستخدم بكثرة في مدينة تنس وتساوي 144 مد نبويا ولها العديد من الأجزاء الصغيرة كما في المكاييل أحدهما هو السدس 6/1[7]، وأوضح القلقشندي بأن مقدار كل صحفة هو اثنا عشر مدا [8] .

كما أن الصحفة تساوي 48 قادوسا ، وهذا الأخير يساوي ثلاث أمداد بمد النبوي أي : 48 × 3 = 144 مد نبويا ، كما وأن سبق وأشرنا إليه [9].

---

[1] أمينة حجام و حنان قاسم : المرجع السابق ، ص 85 .

[2] جودت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق ، ص 187 .

[3] رشيد بورويبة : المرجع السابق ، ص 148 .

[4] جودت عبد الكريم : المرجع السابق ، ص 187 .

[5] رشيد بورويبة : المرجع السابق ، ص 148 .

[6] أمينة حجام وحنان قاسم : المرجع السابق ، ص 77 .

[7] جودت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق ، ص 189 .

[8] القلقشندي : المصدر السابق ، ص 114 .

[9] رشيد بورويبة : المرجع السابق ، ص 148 .

3- الأسعار :

السعر هو الوجه العملي الملموس للقيمة في النظام الاقتصادي الذي يقوم على السوق أو التبادل النقدي ، وهو ليس ثابتا ، بل يتأثر بعدة عوامل طبيعية وبشرية ، وهناك عدة اعتبارات تدخل في قياس هذه القيمة ، فقد تقاس وفق العمل المبذول من أجل إنتاجه أو وفق حالة الأسواق أي قانون العرض والطلب[1].

ويفيد القلقشندي(ت821هـ/1418م) في معرفة بعض أسعار بجاية بحيث كان سعر القمح بخمسين درهما والشعير دون ذلك ، ولحم الضأن كل رطل بدرهم إفريقي أما بقية اللحوم فأقل منه في القيمة ، وسعر الدجاج بدرهمين جديدين ، وتنخفض الأسعار في فصل الربيع لوفرة المحاصيل ، كما قارن بين أسعار السلع بمصر وبجاية فكانت جد متقاربة ، ونفس الشيء مع تونس [2] .

وكان سعر الكسا يساوي 600 دينار ، وسعر التمور بقسطيلة بدرهمين وسعر الفليون المضاد للسعات العقارب يساوي درهمين[3]،وسعر الزيت والزيتون اللذان كانا منتشران بصفاقس بلغا من ستين قفيزاً بدينار إلى مئة قفيز بدينار على حسب النية[4].

كما أن بجاية ومرسى الدجاج كان بهما رخص في الأسعار من فواكه ومطاعم مختلفة وقمح وشعير ، وقد ضرب لنا ابن حوقل في نصه على رخص الأسعار ببونة قائلا : " فيا خصب ورخص موصوف " وتدل عبارته هذه على رخص الأسعار ببونة وقوله كناية على وفرة الإنتاج والذي بدوره ينتج رخص الأسعار[5].

---

(1) جودت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق ، ص 157 .

(2) القلقشندي : المصدر السابق ، ص 115 .

(3) رشيد بورويبة : المرجع السابق ، ص 146 .

(4) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 77 .

(5) المصدر نفسه ، ص 77 .

كما ذكر صاحب كتاب الاستبصار بأن سعر العمائم في الدولة الحمادية ببجاية يساوي 500 دينار إلى 600 دينار فأكثر [1].

كما أن الجغرافيون الرحالة كانوا يسجلون ملاحظاتهم على رخص وغلاء الأسعار باستعمال عبارات إنشائية ولم يقدموا لنا ملاحظات دقيقة أو قوائم بها جرد للأسعار ، والمصادر التي بين أيدينا شحيحة وقليلة فيما يتعلق بالأسعار ببجاية الحمادية ، ولا تشفي غليل الدارس لهذا الموضوع .

❖ **العوامل المؤثرة في الأسعار** : إن الأسعار بصفة عامة تخضع للعديد من ضوابط وعوامل تتحكم فيها .

كما أن السياسة التي تتبعها الدولة في الجانب الاقتصادي كاحتكار السلعة وتخزينها وفرض المكوس ومختلف الغرامات على الباعة والتجار يؤثر سلباً على الأسعار فترتفع [2]، والإحتكار يزيد من غلائها ، فتقل بذلك السلع وتصبح نادرة فيرتفع ثمنها ، ويقول ابن خلدون(ت808هـ/1406م) في ذلك : " يحتكر التجار السلع فيغلوا ثمنها"[3].

وارتبطت الأسعار ببلاد المغرب بصفة عامة والدولة الحمادية بصفة خاصة بقانون العرض والطلب بحيث أنه كلما كثرت السلع رخصت ، وكلما قلت غلت في السعر ، بينما إذا كان العرض والطلب متساويان كانت الأسعار مستقرة [4]، فحسب ابن خلدون (ت808هـ/ 1406م) بأن هذا التفاوت والإختلال في الأسعار راجع إلى العمران البشري فإذا كانت المدن عامرة بالسكان رخصت أسعار المواد الضرورة كالقمح والحنطة وذلك راجع لاهتمام الناس بها لعدم الإهمال والإستغناء عن قوتهم ، وترتفع أسعار الكماليات

---

[1] ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، ص 129 .

[2] جودت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق ، ص

[3] ابن خلدون : المقدمة ، المصدر السابق ، ص 454 .

[4] محمد بن ساعو: المرجع السابق ، ص 70.

كالفواكه وغيرها ، وإذا قلّ سكان المدن كان الأمر عكس ذلك[1]، ويضيف ابن خلدون عاملا مهمّاً يتحكّم في تذبذب الأسعار وهو كون الأسعار بالمدن تكون أغلى من نظيرتها بالبادية بسبب فرض الحكّام مختلف الغرامات والمكوس المالية على التجّار بالأسواق ، عكس البادية التي تكون المكوس والغرامات قليلة أو شبه منعدمة[2]؛ وهذا ما يؤثر بشكل كبير على عدم استقرار الأسعار ، إضافة إلى ذلك أنّ للبعد الجغرافي تأثير كبير يتحكم في قيمة الأسعار ، فكلّما كان البلد بعيدا ، كان عبئ التاجر كبير ومدى المخاطر التي تصادفه في رحلته التجارية فتكون الأسعار غالية ، ويقول ابن خلدون(ت808هـ/1406م) : " نقل السلع من البلد البعيد المسافة أو في شدّة الخطر في الطُّرقات يكون أكثر فائدة للتجار وأعظم أرباحًا وأكفل بجوالة الأسواق لأن السلعة المنقولة حينئذ تكون قليلة ومعوزَّة لبعد مكانها أو شدَّة الغرر في طريقها فيقلُّ حاملوها ويغرُّ وجودها وإذا قلَّت وعزَّت غلت أثمانها " [3].

وحسب ابن عذارى (كان حيا سنة 712هـ/ 1312م) فإن الوباء والمجاعات له دور كبير في ارتفاع الأسعار ففي سنة(512هـ/1118م) حصل وباء بتلمسان، فارتفعت وغلت الأسعار فبلغ ربع الدقيق بها بعشرين درهما [4] .

---

[1] ابن خلدون : المقدمة ، المصدر السابق ، ص 453 .

[2] المصدر نفسه ، ص 455 .

[3] المصدر نفسه ، ص 497 .

[4] ابن عذاري : المصدر السابق ، ج1 ، ص 307 .

الفصل الثاني : المسالك والعلاقات التجارية ببجاية الحمادية

أولا :المســـالك التجاريـــــــــة

1- المسالك التجارية البريــة

2- المسالك التجارية البحرية

ثانيا : العلاقات التجاريـــــــــة

1- العلاقات التجارية المحليـة

2- العلاقات التجارية الخاجيـة

أولا : المسالك التجاريـــــــــــة

يعتبر الموقع الذي تنتصب عليه مدينة بجاية ، موقعا إستراتيجيًا كان له الدور الهام في التاريخ الحضاري لهذه المدينة ، وخاصة منه التاريخ الإقتصادي . هذا الموقع الذي لفت انتباه رسول تميم ابن المعز ابن باديس ابن المنصور الزيري (453-501هـ/1061-1108م) ، ابن البعبع (ت457هـ/1065م) إلى الناصر ابن علناس ابن حماد ، في إحدى روايات تأسيس هذه المدينة حيث تأمل الموقع وتبين له أنه يصلح مرسى وداراً لصناعة السفن [1] .

كما أن كتب الجغرافيا قد أشادت بهذا الموقع حيث يذكر صاحب كتاب الإستبصار(6هـ/12م) ،" أن بجاية مدينة عظيمة مابين جبال شامخة ، وهي معلقة في جبل قد دخل في البحر يسمى مسيون "[2] ، فيما يصفه العبدري (ت725هـ/1325م) ، في رحلته " بجاية مبدأ الإتفاق والنهاية ... حصينة منيعة برية بحرية ، فلا مطمع فيها لمحارب " [3] .

ولم تكن لتكتمل أهمية هذا الموقع لولا شبكة المسالك التجارية البرية والبحرية التي لعبت هي الأخرى دوراً في تنشيط الحركة التجارية ، وتنمية العلاقات الإقتصادية بين بجاية ومختلف الأصقاع المتصلة بها براً وبحراً ، حيث ذكر الإدريسي (ت560هـ/1165م) في هذا الشأن " مدينة بجاية مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد والسفن بها مقلعة ، وبها القوافل منحطة والأمتعة مجلوبة براً وبحراً و البضائع بها نافقة...وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة ... بجاية قطب لكثير من البلاد... " [4] .

---

[1] النويري : المصدر السابق ، ج24 ، ص124 .

[2] ابن عبد ربه الحفيد : المصدرالسابق ، ص ص129- 130 .

[3] العبدري : الرحلة المغربية ،تقديم : سعد بوفلاقة ، الجزائر: منشورات بونة للبحوث والدراسات ، 1428هـ ، ص49.

[4] الإدريسي : المصدر السابق ،ج1 ، ص 260 .

إلا أن دور هذه المسالك لم يكن مجرد الربط التجاري بين المدن فحسب ؛ بل تعدا دورها إلى الربط العلمي والثقافي بوصفها طرقاً للرحلات العلمية [1] .

و عند انتقال العاصمة الحمادية من القلعة إلى بجاية ، برزت بجاية كمركز تجاري هام نظراً للعلاقات الجديدة مع البلدان الشرق و بلدان أوربا فأعطت بذلك بجاية للمغرب الأوسط توجهاً جديدا من حيث العلاقات الخارجية [2] .

و في كون مدينة بجاية جمعت مزية البر و البحر ، فقد كانت لها شبكة من المسالك التجارية و البرية والبحرية أو برية بحرية في آن واحد .

1- المسالك التجارية البرية :

وهي المسالك التي تخترق طريقها نحو المدن الداخلية البرية ، حيث تتأثر نوعية هذه المسالك بالظروف الطبيعية و خصائص السطح خاصة الجبال الوعرة و الأنهار العريضة التي تكون صعبة الاجتياز، مما يؤثر على الحركة التجارية [3] كما يمكن أن تتعرض القوافل التجارية للصوص و قطاع الطريق ، و قد اختلفت المسالك التجارية البرية لبجاية بين مسالك رئيسية و أخرى ثانوية و ذلك بحسب نشاط و حركة المسلك و منها :

- **الطريق من جهة المغرب من بجاية (المضيق):** على ضفة الوادي الكبير و هو أسهل الطرق لبجاية [4]، مما يجعله من الطرق الرئيسية ذات الحركة التجارية النشطة.
- **الطريق الثاني من جهة الشرق لبجاية .**

---

[1] سمير مزرعي : " الطرق التجارية و دورها في تنشيط الحركة التجارية بالمغرب الأوسط ، مجلة كان التاريخية ، 1436هـ ، العدد 28 ، ص 117 .

[2] عز الدين يحياوي : " تأثير الطرق في إنشاء مدن المغرب الأوسط ، المجلة الخلدونية ، جامعة ابن خلدون ، تيارت ، 2013 ، العدد 6 ، ص 24 .

[3] جودت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق ، ص126 .

[4] ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، ص 129 .

أما الطريق الثالث ناحية القبلة من بجاية إلى قلعة بني حماد على مسيرة أربع أيام بينهما ، و به أوعار وعقارب [1] ، مما يشكل عائق أمام التجار و يجعله في جملة الطرق الثانوية التي تقل فيها الحركة التجارية .

و تعتبر المادة التي أوردها الإدريسي (560هـ/1165م) ، من أغنى المعطيات الجغرافية التي أسهبت في الحديث عن المسالك التجارية ووصف الطرق الداخلة و الخارجة من مدينة بجاية و من بين هذه الطرق نذكر :

- **الطريق من بجاية إلى قلعة بني حماد :**

و الذي يقدر بحوالي ثلاثة وعشرون محطة بين(قرية ، سوق ،حصن و قصر...) " و الطريق من بجاية إلى القلعة تخرج من بجاية إلى المضيق إلى سوق الأحد إلى وادي رهت إلى حصن تاكلات و به المنزل... إلى تادرفت إلى سوق الخميس إلى حصن بكر و به المنزل إلى حصن وارفو و يسمى أيضا رافو... إلى القصر... إلى جهة الجنوب إلى حصن الحديد مرحلة إلى الشعراء إلى قبور بني تراكش إلى تاورت... إلى الباب... إلى السقائف... إلى حصن الناظور إلى سوق الخميس... ومنه إلى الطماطة إلى سوق الإثنين و منه إلى حصن تافكلات ومنه إلى قصر عطية إلى حصن إلى حصن إلى حصن القلعة و جميع هذه الحصون أهلها من العرب في مهادنة و ربما أضر بعضهم ببعض..."[2] .

ومن خلال هذا الوصف الذي قدمه الإدريسي(ت560هـ/1065م) يظهر أن الطريق بين بجاية و القلعة طريق عامرة بالقرى والأسواق و الحصون، هذه الأخيرة (الحصون)

---

[1] ابن عبد ربه الحفيد: المصدر السابق ، ص 129 .

[2] الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 262 – 263 .

التي يظهر أيضا أنها كانت محطات ينزل بها التاجر للراحة والتزود وغير ذلك كحصن تاكلات وحصن بكر، كما أن هذا الطريق أصبح غير آمنا بعد احتلاله من طرف العرب الهلالية .

- **الطريق من قسنطينة إلى بجاية :**

الذي مسيرته ستة أيام تخرج من قسنطينة إلى النهر ثمّ فحص الفارة إلى قرية بني خلف إلى حصن كلديس ثمّ إلى جبل سحاو... إلى وادي شال ثمّ إلى سوق يوسف ثمّ إلى سوق بني زندوي إلى حصن تالة إلى المغارة إلى ساحل البحر إلى مسجد بهلول إلى المزارع ثمّ إلى مدينة جيجل إلى طرف مزغيطن إلى جزائر العافية إلى فج الزرزور إلى حصن المنصورية على البحر[1] .

- **الطريق من بجاية إلى جزائر بني مزغنة :** مسيرة أربعة أيام (أربع مراحل) .
- **الطريق من بجاية إلى ميلة :** مسيرة ثلاثة أيام (ثلاثة مراحل)[2] .
- **الطريق من بجاية إلى إيكجان :** يوم و بعض يوم(مرحلة و نصف) .
- **الطريق من بجاية إلى بلزمة :** مرحلتان و بعض (يومان و نصف) .
- **الطريق من بجاية إلى سطيف :** يومان (مرحلتان) .
- **الطريق من بجاية إلى بغايا :** مسيرته ثمانية أيام (ثمانية مراحل) .
- **الطريق من بجاية إلى قلعة بشر:** خمسة أيام (خمسة مراحل) .
- **الطريق من بجاية إلى قالمة :** ثمانية مراحل (ثمانية أيام) .
- **الطريق من بجاية إلى تبسة :** ستة أيام (ستة مراحل) .
- **الطريق من بجاية إلى طبنة :** سبعة أيام (سبعة مراحل)[3] .

---

[1] الإدريسي :المصدر السابق: ص ص 267 – 268 .

[2] ياقوت الحموي : المصدر السابق ، م1 ، ص339 .

[3] الإدريسي : المصدر السابق ،ج1 ، ص 260 .

- **الطريق من بجاية إلى جيجل** : خمسون ميلا .
- **الطريق من بجاية إلى الأربس** : إثنا عشرة مرحلة[1] ، إضافة الى الطرق المؤدية و المرتبطة بالمغرب والصحراء . **(ينظر الملحق رقم 03)**

2- المسالك التجارية البحريــة :

تتأثر نوعية هذه المسالك كنظيرتها من المسالك البرية بمجموعة من العوائق الطبيعية كالرياح والعواصف ، التي تتسبب في غرق السفن أو تغيير مسارها ، كما تتعرض السفن إلى ما يعرف بالمصطلح الحالي (القرصنة) [2] .

ويعتبر مرسى مدينة بجاية من أهم وأكثر المراسي شهرةً وازدحامًا ، حيث أنه مقصد السفن من مختلف الأمصار ، ودليل ذلك ما ذكره صاحب كتاب الإستبصار (6هـ/12م) " ... وهي مرسى عظيمة تحط فيها سفن الروم والشام وغيرها من أقصى بلاد الروم ، وسفن المسلمين من الإسكندرية[3] ... وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها... " [4] ، وكما ذكر القلقشندي (ت 821هـ/1418م) ، أن بجاية يدخل إليها خور من البحر الرومي تدخل منه المراكب إليها [5].

وهذا ما يدل على أن المسالك البحرية لبجاية الحمادية ، كانت مرتبطة بكل أحواض البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط) ، فارتبطت بالحوض الشرقي مع الإسكندرية وبلاد الشام وما يلي ذلك من بلاد اليمن والهند والصين وغيرها .

---

[1] الإدريسي: المصدر السابق ، ص 267 ، 293 .

[2] يقصد بها الإعتداء على السفن المخالفة بغية الإستلاء عليها وعلى محتوياتها من سلع و أشخاص وهي وفق المنظور الإسلامي جهاد بحري موجه ضد دار الحرب . ينظر : (علي عشي : المرجع السابق ، ص460) .

[3] مدينة عظيمة على ضفة البحر قيل أنها من بنيا الإسكندر ابن فيليبوس وقيل من بنيان البطلموسيين ، يصب فيها النيل فتطلع فيه القوارب إلى مصر . ينظر (الزهري : الجعرافية ، تحقيق : محمد حاج صادق ، مصر : مكتبة الثقافة الدينية ، ص 46) .

[4] ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، ص130

[5] القلقشندي : المصدر السابق ، ج5 ، ص109

أما مع الحوض الشمالي والغربي الذي تمثله بلدان أوربا الساحلية وجزر الروم و الأندلس ،إضافة إلى المسالك التي تربطها مع المراسي التي تقع في نفس الشريط الساحلي لمدينة بجاية (الشمال الإفريقي) ، وغالبا ما ترتبط معها بطرق برية .

وقد أصبحت الطرق البحرية السبيل الوحيد للتبادل التجاري بسبب إحتلال العرب الهلالية للطرق البرية كالطريق المؤدية لمصر و الشرق ، مما جعل النشاط التجاري يتجه نحو الشاطئ[1] ومن بين هذه المسالك البحرية : **مرسى جربة ، مرسى سبيبة ومرسى جيجل**[2]، وكذلك **مرسى بونة** و**مرسى بني جناد** ومنه إلى **مرسى الدجاج**[3]، كما أنّه كانت هناك طرق مزدوجة برية و بحرية مثل الطريق من **بجاية إلى تدلس بحراً** تسعين ميلا و براً سبعين ميلاً [4] .

و**الطريق من جربة إلى بجاية بحراً** إثني عشر ميلا و برًا ثمانية أميال [5].

إضافة إلى الطريق البحري بين الإسكندرية يمر بسلسلة من الموانئ من أهمها السلوم وطرقبة ، إلى برقة ثم قابس ومنها إلى صفاقس ثم إلى المهدية و منها إلى سوسة ثم إلى تونس منها إلى بونة ثم إلى بجاية [6] .

---

[1] جورج مارسي : بلاد المغرب و علاقاتها ببلاد المشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، ترجمة : محمود عبد الصمد هيكل ، الإسكندرية : مطبعة الإشهار ، ص 252 .

[2] البكري : المصدر السابق ، ص 82 .

[3] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 77 .

[4] الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 259 .

[5] المصدر نفسه ، ص 274 .

[6] حسن خضري أحمد : المرجع السابق ، ص 99 .

ثانيا : العلاقات التجاريـــــــــــة

أقامت مدينة بجاية ، جملة من العلاقات التجارية الداخلية (المحلية) والخارجية جمعتها مع كل من بلدان المغرب الإسلامي ،وأخرى خارج القطر المغربي؛ من مصر، الشام ، اليمن، الهند ، الصين و بلدان أوربا الساحلية (الضفة الشمالية والغربية لبحر الروم)، وقد ارتبطت هذه الحركة التجارية الواسعة بوجود شبكة من الطرق التجارية البرية والبحرية التي تتمتع بها المدينة، وكذا ازدهار الزراعة ومختلف الصناعات خاصة منها صناعة السفن .

كما أنّ للموقع الذي تتمتع به بجاية دور في تنشيط الحركة التجارية ، فمن جملة الأسباب التي جعلت ميناء بجاية يكتسي هذه الأهمية هو وقوعهُ على الطريق الأندلسي الرابط بين قلعة حماد ، وبينه وبين المرية [1] من جهة ثانية [2] .

إضافة إلى سياسة الأمراء الحماديين التي سعت إلى كسب الصداقات التجارية والسياسية ، وتبادل الرسائل و المكاتبات [3]، فيما تأثر العلاقات التجارية بمؤثرات إقتصادية كوفرة السلعة أو قلتها ، ومؤثرات سياسية ، فلما عزم عبد المؤمن على الخروج لغزو بني حماد و دخول بجاية و أظهر أنّه ينوي غير ذلك ، و أرسل إلى عامله في تلمسان يأمره بمنع التجار المسافرين إلى بجاية و إفريقيـة براً و بحـراً

---

[1] مدينة محدثة بالأندلس ، أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمان بن محمد سنة (344هـ/955م) ، و هي أشهر مراسي الأندلس و أعمرها و بها من كل الصناعات . ينظر : (لحميري : صفة جزيرة الأندلس ؛ منتخبة من كتاب الروض المعطار ، تحقيق ليفي برفنسال ، لبنان : دار الجبل ، 1048هـ ، ص ص183-184).

[2] علي عشي : المرجع السابق ، ص 216 .

[3] حسن حضري أحمد : المرجع السابق ، ص 124 .

حتى لا يحمل الخير بانتقال التجار والمسافرين[1] ، هذه الحادثة التي نستشف منها أن الدور الذي تلعبه العلاقات التجارية ، لا يقتصر على تبادل السلع ومختلف المنتوجات فحسب ، إنما عن طريقها تنتقل الأخبار والدسائس السياسية .

1- العلاقات التجارية المحلية :

تجسدت هذه العلاقات المحلية في مختلف التبادلات التجارية بين بجاية و مختلف أقاليمها بالمغرب الأوسط ، إضافة إلى المغربين الأدنى و الأقصى ، و تبادل مختلف السلع التجارية ، الزراعية و الصناعية و غيرها ، و من بين هذه العلاقات القائمة نذكر:

❖ مع أقاليمها بالمغرب الأوسط :

- مع مدينة نقاوس : تتميز هذه المدينة بكثرة المزارع خاصة شجر الجوز ، الذي كان يحمل إلى قلعة بني حماد و بجاية [2]

كذلك عرف حصن سطيف الذي يقع إلى الجنوب من بجاية بكثرة الجوز الطيب و الذي كانت لهُ شهرة واسعة ، و يحمل لكثرته إلى سائر الأقطار ، و يبعد هذا الحصن عن بجاية بمرحلتان (يومان) [3] .

- مع مدينة جيجل : و هي مدينة قديمة على البحر على نهر عظيم ، اشتهرت بكثرة العنب و التفاح و الفاكهة و تحمل الفواكه و العنب والرب إلى مدينة بجاية [4] .

---

[1] عبد القادر زمامة : " إكتشاف نص جديد من كتاب البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس و المغرب ، يتعلق بتاريخ الموحدين "، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد : تصدر عن معهد الدراسات الإسلامية 1980-1997م ، ص 20-21 .

[2] ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، ص 172 .

[3] الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 269 .

[4] ابن عبد ربه الحفيد : المصدر نفسه ، ص 127 .

كما اشتهر مرسى الدجاج بالفواكه و المآكل و المطاعم و فيه ما يكفي البلاد ويغرق غيرهم مما يجاورهم [1] .

أما جزائر بني مزغنة فتميزت بكثرة السمن و العسل و ربما يتاجرون به إلى سائر البلاد و الأقطار المجاورة و المتباعدة على حد تعبير الإدريسي (ت 560هـ/1165م) [2].

– مع قرية متوسة : وهي قرية آهلة ، يوجد بها معدن الحصن ، و منها يحمل إلى بجاية و بينهما إثنتا عشر ميلا [3].

وحمل إلى بجاية الزفت البالغ الجودة ة القطران من الأقاليم المجاورة لها [4] وهذه المواد التي تعد من أساسيات صناعة السفن لتوظيفها في لحم الخشب بعضه ببعض، وطلاء داخلي و خارجي يحمي السفن من التلف و مقاومة ملوحة البحر مما أدى إلى ازدهار صناعة السفن و من ثمّ ازدهار التجارة [5].

و كما ينبت في جبل مسيون (جبل كتامة الذي تقع عليه بجاية) ، الكثير من النباتات التي قال عنها الإدريسي أنها " تنفع في صناعة الطب مثل شجر الحضحض و السقولوفندوريون والبرباريس ... [6]، وربما كان أهل بجاية يتاجرون بها داخل أقاليم بجاية أو خارجها .

---

[1] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 77 .

[2] الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 258 .

[3] المصدر نفسه ، ص 268 .

[4] المصدر نفسه ، ص 260 .

[5] موسى هيصام : المرجع السابق ، ص 50 . المصدر نفسه ، ص 260 .

[6] الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ، ص259 .

❖ **مع دول الجوار والصحراء :**

استعمل ملوك صنهاجة ببجاية الحمادية الرخام الأبيض و الذهب و اللّازورد[1] في بناء القصور،التي اعتبرت من أحسن القصـور وأفخمها، والتي وصفها ابن خلدون (ت808هـ/1405م)، بالمباني العجيبة المؤنقة والمدن العظيمة [2]، بكميات كبيرة فاحتاجوا بذلك إلى مصادر لهذه المواد من مختلف الأصقاع ، منها جزيرة جربة التي يتوفر فيها معدن الذهب [3] ، فخلال عهد المنصور بن الناصر (498-515هـ/1104-1121م) بعث بأسطوله إلى جربة فنزل أهل جربة على حكمه و أخذوا بطاعته [4] .

و كما لا ننسى المصدر الأساسي لمعدن الذهب وهو بلاد السودان حيث يذكر الإدريسي (ت 560هـ/1165م) " أنّ أهل بجاية كانوا يجالسون تجار المغرب الأقصى و تجار الصحراء... " [5] .

و في مقابل ذلك حمل إلى القيروان السمن و التين من أقاليم بجاية (جزائر بني مزغنة) [6] ، و حمل الطعام من تنس إلى بلاد إفريقية و إلى بلاد المغرب و ذلك لكثرة الزرع عندهم [7] . و كما توفر الجبل الذي تتربع عليه بجاية (جبال كتامة) على معدن النحاس الذي كان يحمل إلى إفريقية [8]، ولـم يقتصر ذلك على بجاية فقـط بل كان ببونة

---

[1] ابن عبد ربه الحفيد ، المصدر السابق ، ص130 .

[2] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6 ، ص323 .

[3] البكري : المصدر السابق ، ص 45 .

[4] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6 ، ص 234 .

[5] الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 260 .

[6] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 78 .

[7] ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، ص 133 .

[8] البكري: المصدر السابق ، ص 83 .

حديد كثير و يحمل منه إلى الأقطار الغزيرة الكثيرة [1] .

و لما كان سلطان الدولة الحمادية امتد إلى بلد واركلان التي وصلت إليها سريا الناصر ابن علناس ، حيث كان الذهب من بين السلع التي تصل إلى واركلا ، فقد كان أهلها و أهل المغرب الأقصى يشترون أكثر الذهب و يخرجونه إلى دور السك في بلادهم فيضربونه دنانير يتصرفون بها في التجارات و البضائع [2] ، و كما أنّ تجار واركلان كثيروا التجوال في بلاد السودان إلى غانة [3] ، و بلاد ونقاوة [4] ، فيخرجون منها التبر [5].

وكما كانت الصحراء مصدرًا لمعدن الشبّ من مدينة انكلاس [6] التي كان تجارها يتجولون حتى ينتهوا في جهة المشرق من بلاد مصر و يتصرفون في جهة المغرب فيصلون إلى بلاد واكلا و سائر أرض المغرب الأقصى [7].

وكان لمدينة واركلا علاقة بمدن السودان كمدينة زغاوة [8] الذين كانوا يجلبون الحنطة من بلاد واركلا و غيرها [9] .

---

[1] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 77 .

[2] الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 24- 25 .

[3] مدينة كبيرة جنوبي بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان ، يجتمع إليها التجار و منها يدخل إلى بلاد التبر . ينظر : (ياقوت الحموي : المصدر السابق ، م 4 ، ص 184) .

[4] مدينة بينها و بين غانة ثمانية أيام ، و هي بلاد البتر المشهور بالطيب و الكثرة ، و هي جزيرة يحيط بها النيل . ينظر : (الإدريسي : المصدر السابق ،ج1 ، ص 24) .

[5] المصدر نفسه ، ص 296 .

[6] أكبر بلاد كوّار (ارض الشب) قطرًا و أكثرها تجارة و عندهم معادن الشب الخالص . ينظر (المصدر نفسه ، ص 117) .

[7] المصدر نفسه ، ص 117 .

[8] من بلاد السودان بها قوم رحالة يسمون صدراتة ، أكثر ما يزرعه أهل زغاوة الذرة . ينظر : (المصدر نفسه ، ص ص 110- 111) .

[9] المصدر نفسه ، ص ص 20- 21 .

ولم تكن الحنطة متوفرة في بلاد السودان ، بسبب الحر الذي تتميز به البلاد و كانت جل لحومهم الحوت [1] ، هذه المنتوجات التي كانت تزخر بها بجاية وأقاليمها كمدينة جيجل التي بها الكثير من الحوت [2] ولا في قسطيلة التي لا يزرع فيها الشعير ولا القمح إلا زرع تافه ، فكان يجلب إليها و كان سعرها في غالب الأوقات غال[3] .

كما تتفرد برقة [4] بتجارة القطران الذين ليس في كثير من النواحي [5] ، لذلك فليس من المستبعد أن يجلب قطران برقة لجودته إلى بجاية لتوظيفه في صناعة السفن وقابس [6] التي يعمل بها الحرير الكثير الغزير و بها جلود تعم أكثر بلاد المغرب [7] .

2- العلاقات التجارية الخارجيـــة :

تميزت مدينة بجاية وأقاليمها التابعة لها بغناها الإقتصادي ، الزراعي والصناعي ، هذه الحالة الإقتصادية المزدهرة جعلت الناصر ابن علناس يسقط الخراج عن ساكنيها[8] ، فحاولت بذلك الدولة الحمادية إيجاد صلات تجارية بينها وبين الأقطار التي يمكن أن تفتح لها أسواق لتصريف منتجاتها ، فنشطت بذلك أبواب التجارة الخارجية [9]، مع بلدان المغرب و المشرق وغيرها . **(ينظر الملحق رقم 04)**

---

[1] الإدريسي : المصدر السابق ، ص ص 20 – 21 .

[2] المصدر نفسه ص 268 .

[3] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 69 .

[4] هي أول منبر ينزل به القادم من مصر إلى القيروان ، و بها من التجارة و كثرة الغرباء في كل وقت ما لا ينقطع . ينظر: (المصدر نفسه ، ص 69) .

[5] المصدر نفسه ، ص 69 .

[6] مدينة ما بين طرابلس و صفاقس ثم المهدية على ساحل البحر ، ذات مياه جارية و ساحلها مرفأ للسفن من كل مكان و حولها قبائل لواتة... نفوسة . ينظر : (ياقوت الحموي : المصدر السابق ، م 4 ، ص 289) .

[7] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 72 .

[8] ابن خلدون : المصدر السابق ،ج6 ، 232 .

[9] عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص 228 .

فقد كان لأوربا الساحلية معاهدات تجارية و قنصلية دقيقة مع بجاية و لهم فيها فنادق [1] خاصة [2] ، و أقدم الفنادق في بجاية يعود للجنوبيين منذ هجومهم عليها سنة (531هـ/1136م) [3] .

❖ **العلاقات التجارية مع الضفة الشمالية و الغربية لبحر الروم (المتوسط) :**

- جزيرة الأندلس : تعد العلاقة القائمة بين العدوتين المغربية و الأندلسية علاقة قديمة ، بحكم التقارب الجغرافي بينهما و دخولهما ضمن تقسيم جغرافي واحد و هو الغرب الإسلامي و ليس هذا فحسب و إنما أيضا وقوعهما ضمن ضفاف البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط) ، الذي شهدت ضفافه علاقة نشطة فيما بينهما منذ عهد بعيد .

فقد كانت مدينة تنس من أكبر مدن المغرب الأوسط التي تواجد فيها الأندلسيين ، وحمل منها الطعام إلى الأندلس [4] كما اشتهرت بونة بحركة التجار الأندلسيون فكان بذلك أكثر تجارها أندلسيون [5].

ومن صادرات الأندلس إلى المغرب الإسلامي بصفة عامة هي الورق ، السجاد و السلاح و كل الأدوات المصنوعة من الحديد والنحاس[6] . وقد ذكر المقري (ت 1041 هـ/1631م) أن بجبل قرطبة [7] مقاطع للرخام الأبيض الناصع [8]، وهو من بين المواد

---

[1] عبارة عن مؤسسة متعددة الصلاحيات ، نظم بداخلها منشآت منها إقامة التجار و أخرى لتخزين السلع ، ترافق التطور التطور التجاري و الإزدهار البحري . ينظر : (على عشي : المرجع السابق ، ص ص 530-531) .

[2] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، المرجع السابق ، ج 1ص ، 392 .

[3] علي عشي : المرجع السابق ، ص 538 .

[4] ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، ص 133

[5] البكري: المصدر السابق ، ص55 .

[6] جودت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق ، ص 222 .

[7] قاعدة الأندلس و أم مدائنها ، مستقر خلافة الأمويين ، تجارها مياسير و أحوالهم واسعة . ينظر : (الحميري : المصدر السابق ، ص 153) .

[8] أحمد بن محمد المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت : دار صادر، م 1 ، ص 201 .

التي استكثر منها الأمراء الحماديين ببجاية في أبنيتـهم، ومما ساعد على تسهيل هذه الحركة التجارية ، هو تقابـل مراسي المغرب الأوسـط و الأندلس ، فمرسى جزائر بني مزغنة يقابل بالأندلس مرسى شكلهْ، و يقابل مرسى مدينة لغانية[1] مرسى دانية[2] بالأندلس، و مرسى شرشال يقابله بالأندلس مرسى ألاقنْت [3].

- جزيرة ميورقة [4] : نشط الخط التجاري بين بجاية و ميورقة بفضل العلاقات التي كانت تربطها ، و التي إمتازت في غالبيتها بالتصدير و الإستيراد وقد ساعد على ذلك تقابل المدينين و مداومة الرحلات بينهما ، و قد كانت تجارة العبيد هي التجارة الرائدة [5] .

فقد ذكر الغبريني (ت 704هـ/1304م) " أن بجاية كانت بلدة غزاة يدخلون إلى دواخل الجزر الرومانية و غيرها و يسوقون السبي الكثير منه و ينزل الناس لشراءه بحومة المذبح... " [6].

- جزيرة صقلية : بين صقلية و بجاية ثلاث مجار[7]، و قد ذكر الهادي روجي إدريس أنه رغم انعدام الوثائق ، نستطيع أن نؤكد أن جنوة ما لبثت أن أبرمت معاهدة مع بني حماد حيث أشارت المصادر إلـــى وجود جنوبيين في بجاية اعتبارا من سنة(515-547هـ/1121-1152م)[8].

---

[1] هي مدينة كبيرة قديمة ، غير مسكونة و هي مرسى يقابلها مرسى دانية بالأندلس . ينظر : (ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، ص 132) .

[2] مدينة بشرقي الأندلس ، على البحر عامرة ... و السفن واردة عليها و صادرة عنها . ينظر : (الحميري : المصدر السابق ، ص 76) .

[3] ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، ص 132

[4] جزيرة في البحر الزقاقي تسامتها من القبلة بجاية من برّ العدوة ، و بينهما ثلاثة مجار فتحها المسلمون سنة (290هـ/903م) . ينظر : (الحميري : المصدر السابق ، ص 118) .

[5] سمير مرزعي : المرجع السابق ، ص 119 .

[6] الغبريني : المصدر السابق ، ص 45 .

[7] ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، ص130 .

[8] الهادي روجي إدريس : المرجع السابق ، ج2 ، ص267 .

فقد كان أهل مدينة القل يمتلكون كمية عظيمة من الجلود يبادلون بها البضائع التي يحملها أهل جنوة إلى مينائهم[1] .

وكما اشتهرت صقلية بالحرير الذي كانت له أسواق رائجة في الخارج ، فكانت التجارة نشطة بين صقلية و إفريقية و مصر وجميع المعاقل الإسلامية [2] .

و بعد دخول الموحدين إلى بجاية في عهد يحي بن العزيز بن المنصور (515-547هـ/1121-1152م) ، شكلت صقلية ملجأً للفارين من بجاية ، ومنهم يحي بن العزيز ، الذي ركب البحر إلى صقلية ينوي الإجازة منها إلى بغداد ، لكنه عدّل طريقه إلى بونة و نزل على أخيه الحارث الذي لم يستقبله ، كما فرّ هذا الأخير (الحارث) إتجاه صقلية [3] .

❖ **العلاقات التجارية مع الضفة الشرقية لبحر الروم :**

- مصر: استفادت الدولة الحمادية من قطع الدولة الزيرية لعلاقتها بالفاطميين بحيث ظلت الدولة الحمادية محافظة على ضرب السكة باسم الخلفاء الفاطميين ، إلى عهد الأمير يحي بن عبد العزيز(515-547هـ/1121-1152م) ، مما أدى إلى ازدهار التجارة بين البلدين و ساعد على رواج العملة و المنتوجات في أسواق مصر و بجاية فازدهرت بذلك تجارتهم على حساب أبناء عمومتهم من بني زيري نتيجة لتوطيد علاقتهم مع الفاطميين [4] .

---

[1] حسن الوزان : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 54 .

[2] عزيز أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ترجمة : أمين توفيق الطيبي ، الدار العربية للكتاب ، 1980 ، ص 46 .

[3] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 236 .

[4] حسن خضري أحمد : المرجع السابق ، ص 124 ، 138 .

بحيث كانت تجارة المنسوجات على رأس السلع المغربية التى كانت ترد إلى مصر[1]، وحمل إلى مصر أيضا المرجان من مرسى الخرز الذي كان يخرج إلى بلاد الدنيا [2].

وفي مقابل ذلك كان يصل إلى المغرب من مصر القماش الذي يعرف بقماش "البوقلمون" ،الذي نسج في تنيس[3]، و هو قماش لا ينسج في أي مكان آخر، بحيث يتغير لونه بتغير ساعات النهار، كما انفردت بصناعة الثياب المعروفة باسم الشروب[4]، هذا الكتان الذي استخدمه الحماديين في صناعة العمائم .

و في سنة (536هـ/1141م) ، أخذ الحسن صاحب المهدية مركب أنشأه صاحب بجاية و بعثه بهدية إلى صاحب مصر و كان له مركب توقف سفره بسبب صاحب الديوان ، الذي سعى إلى إفساد العلاقة بين الحسن صاحب المهدية و صاحب مصر و أراد المواصلة بين صاحب مصر و صاحب بجاية فأقلعت المراكب من الإسكندرية و معها المركب البجائي ببضائع عظيمة لها شأن و أثمان للتجار و هدية لصاحب بجاية [5] .

و قد كان ببونة طائر يعرف بالكَيْكل ، و هو طائر حسن يسمى في مصر الخوّاص و يتخذ بمصر من جلوده ثيابا لليّنها و جمالها و تباع بالأثمان الغالية [6] و ربما كان أهل بونة يتجرون به إلى مصر لغلاء ثمنه .

---

(1) حسن خضري :المرجع السابق ، ص 109 .

(2) ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، ص 126 .

(3) جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ، يعمل فيها الثياب الملونة و الفرش وقماش البوقلمون . ينظر (ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 51) .

(4) حسن خضري أحمد : المرجع السابق ، ص 116 .

(5) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 346 .

(6) ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، ص 127 .

- الهند و بلاد الصين : امتدت العلاقات التجارية لبجاية إلى الأقطار البعيدة ، فدخلت في علاقات نشطة مع الهند و الصين ، جسدتها مختلف التبادلات التجارية بينها وبين هذه الأقطار ، بحيث كان للمنتوجات الهندية رواج بالمغرب و من بينها " الزمرد الهندي الذي ينقسم إلى أنواع ، فأثمنه و أعلاه الزمرد المعروف "بالمرو" و النوع الثاني يعرف "بالبحري" لأن ملوك الهند و الصين يرغبون فيه ، أما النوع الثالث فيعرف " بالمغربي" لأن ملوك المغرب و الأندلس و الإفرنج يتنافسون فيه إضافة إلى الصنف الرابع "الأصم" و هو أدناه " [1] .

وكثيراً ما نسمع بالمنتوجات الهندية التي تعد من أجود المنتوجات و أفخمها ، فقد ذكر ابن خلدون (ت 808هـ/1405م) أن توابيت الكبراء من صنهاجة كانت في العود الهندي [2] ، وكما كانت السيوف الهندية ضمن هذه المنتوجات القادمة من الهند [3] .

و بسبب الجودة التي يتمتع بها المرجان الذي يستخرج من مرسى الخرز كان ذلك أنفق شيء بالهند و الصين [4] ، إضافة إلى ما يرد من التوابل و البخور و العطور إلى بلاد المغرب من جهة المشرق ، حيث كانت ترد هذه المنتجات إلى مصر من بلدان المشرق الأقصى ، بحيث ينقلها التجار المغاربة إلى بلادهم [5].

---

[1] ابن عبد ربه الحفيد: المصدر السابق ، ص 86 .

[2] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 210 .

[3] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 123 .

[4] ابن عبد ربه الحفيد : المصدر السابق ، ص 126 .

[5] حسن خضري : المصدر السابق ، ص 117 .

فيما لخص لنا ابن حوقل (ت380هـ/990م) صادرات المغرب إلى المشرق فقال : " فالمولدات الحسان... و العنبر و الحرير ، و الألبسة الصوفية الرفيعة و الدنية إلى جانب الصوف و ما يعمل منه... و الحديد و الرصاص و الزئبق ، و الخدم المجلوبون من بلاد السودان و الخدم المجلوبون من الأندلس " [1] .

[1] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ص 94-95 .

الخاتمـــة

يبدو خلال دراستنا لموضوع " التجارة والتجار بالمغرب الأوسط بالعهد الحمادي – بجاية– في القرن (5–6هـ/11–12م) حاولنا كشف النقاب على العديد من القضايا المتعلقة بهذا الموضوع وتوصلنا إلى نتائج نحصرها في ما يلي :

– يعتبر الموقع الذي تحتله مدينة بجاية موقعا هاما مكَّنها من تصدر مدن المغرب الأوسط خلال فترة الحكم الحمادي (461 –547هـ/ 1069–1152م) ، حيث أن الموقع الحصين طبيعيا جعلتها محط أنظار الناصر ابن علناس الذي كان يبحث عن مثل هذا الفضاءات الجغرافية ليتحصن بها من غارات العرب الهلالية التي إجتاحت القلعة ودمارها .

فلعبت شخصية الناصر ابن علناس البارزة دورا هاما في تأسيس بجاية، حيث مكَّنها من فرض سيطرتها على العديد من المجالات، أبرزها الجانب التجاري الذي كان له كبيرة في رفع إقتصادها ، حيث استفاد الساكنة من الموقع الإستراتيجي الذي كانت تتمتع به بجاية .

إضافة كونها ميناءً مغارباً شكل همزة وصل بين المدن الداخلية والدول الخارجية؛ مما جعلها مقصداً ومحطً لتجار العالم ، مما ساهم في تفعيل وتنشيط الحركة التجارية ويضاف إلى ذلك تنوع المعاملات التجارية ومختلف التبادلات سوءا منها الداخلية أو الخارجية .

فقد ساعد تنوع وكثرة المنتوجات الصناعية لوفرة المواد الأولية والزراعية كالزيتون والزيت والتمور وغيرها ، من فرض نفسها كقوة اقتصادية بالمغرب الأوسط .

نجد كثرة الأسواق المتواجدة ببجاية والتي تمت فيها العملية التجارية جعلت التجارة البجائية أكثر حركية وفاعلية .

كانت الأسعار ببجاية مرتبطة بالعديد من العوامل التي أثرت على نشاطها التجاري خاصة بعد المسافة وعدم أمن الطرقات والاحتكار .

والشيء البارز الذي وقفنا عليه هو تنوع المبادلات والمسالك التجارية ببجاية، التي سهلت حرية التنقل مما ساهم في تطور و ازدهار التجارة البجائية.

وفي الأخير نأمل أن نكون قد وفقنا في الكشف عن بعض الحقائق التاريخية ،وهي دعوة لكل باحث في تاريخ المغرب الأوسط عامة وبجاية خاصة ، ونذكر بذلك الجانب الإقتصادي الذي لم يحض بقدر وفير من الدراسات التاريخية.

الملاحق

ملحق رقم 01

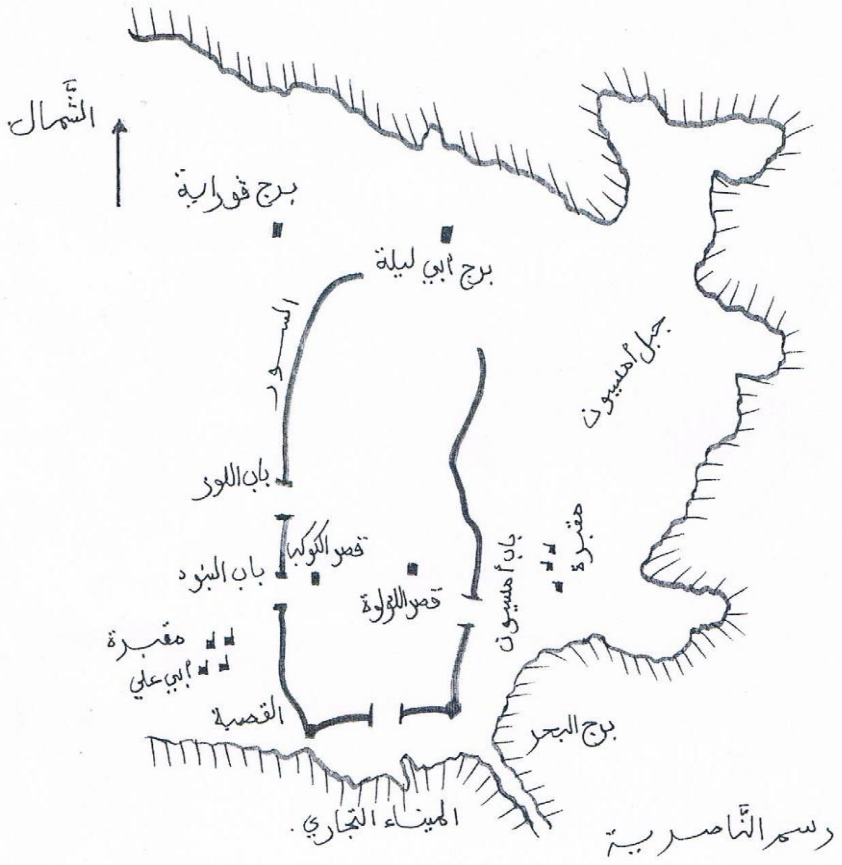

رسم الناصرية (بجاية الحمادية) ، نقلا عن رشيد برويبة ص 200

ملحق رقم 02

صورة توضح باب البحر ببجاية حاليا (التقاط الطالب)

ملحق رقم 03

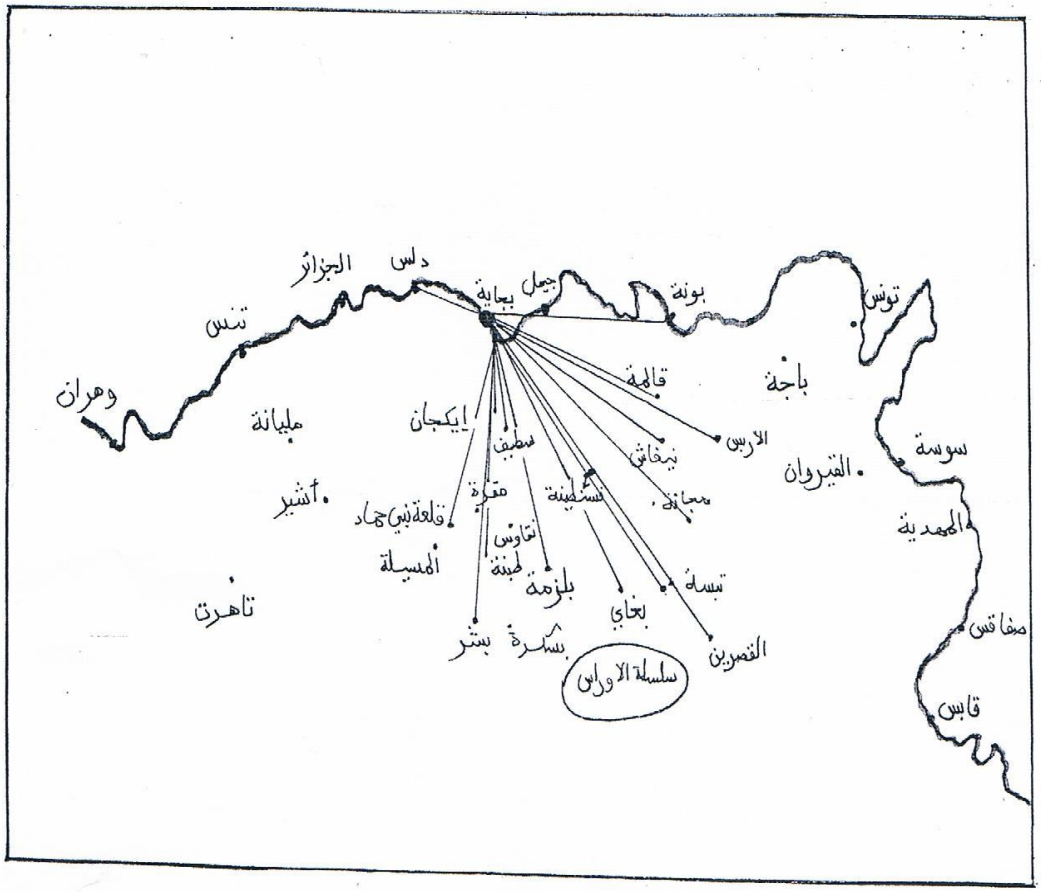

خريطة توضح المدن الداخلية المرتبطة ببجاية : نقلا عن دومينيك فاليريا ، حسب الإدريسي ج 1 ص 226

ملحق رقم 04

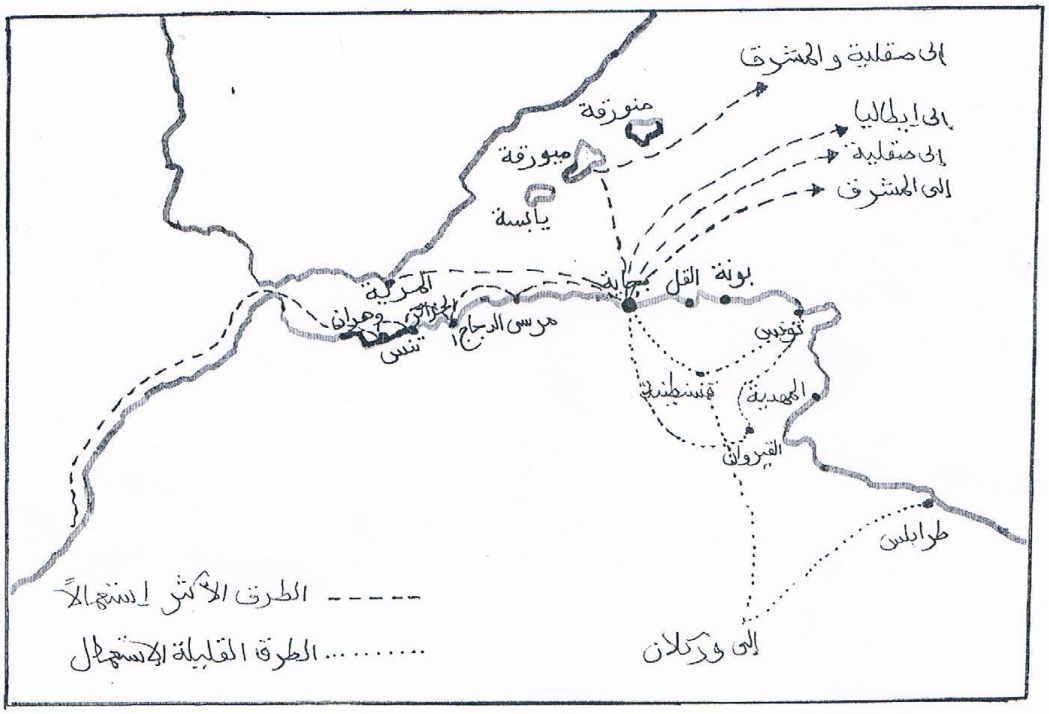

خريطة توضح المسالك التجارية الخارجية لبجاية ، نقلا عن عز الدين يحياوي ، ص 32

أولاً/المصادر:

القران الكريم

1- ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري (ت630هـ/1233م) :

الكامل في التاريخ ، مراجعة : محمد يوسف الدقاق ، ط1، لبنان : دار الكتب العلمية ، 1987م ، ج8 .

2- الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن محمد الحسني السبتي(560هـ/1165م)

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،

3- البيذق ، أبو بكر بن علي الصنهاجي (560هـ/1165م) :

أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين ، الرباط : دار المنصور ، 1971م .

4- البكري ، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/1094م) :

المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ؛ من كتابه : المسالك والممالك ، القاهرة : دار الكتاب الإسلامي ، 1964م .

5- الحميري ، أبو عبد الله محمد ابن عبد المنعم (ت727هـ/1327م) :

صفحة جزيرة الأندلس ؛ متنحية من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، لبنان : دار الجيل ، 1048 هـ .

6- ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي (ت380هـ/990م) :

صورة الارض ، لبنان : درا مكتبة الحياة ، 1992 م .

7- ابن الخطيب ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي (ت776هـ/1375م) :

تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ؛ من كتابه : القسم الثالث أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق ، احمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، الدار البيضاء : دار الكتاب ، 1964 م .

8- ابن خلدون ،أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الخضرمي (ت808هـ/1406م) :

المـــــــــقدمة، تحقيق : خليل شحادة وسهيل زكار ، لبنان : دار الفكر ، 1436هـ

ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج6 .

9- الذهبي ، أبو عبد الله محمد بن أبي أحمد التركماني الدمشقي (748هـ/1348م) :

سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1405هـ ، ج18 .

10- ابن رشيق القيرواني ، أبو الحسن علي (ت456هـ/1064م) :

أنموذج الزمان في شعراء القيروان ، تحقيق : محمد العروسي المطوي وبشير البكوش ، تونس : الدار التونسية ، 1406هـ .

11- الزهري ، أبو عبد الله بن أبي بكر الأندلسي (حي سنة 555هـ/1160م) :

الجعرافية وما ذكرته الحكماء فينا من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب ، تحقيق محمد حاج صادق مصر مكتبة الثقافة الدينية .

12- ابن عبد ربه الحفيد (عاش القرن 6هـ/12م) :

الاستبصار في عجائب الأمصار ، تعليق : سعد زغلول عبد الحميد ، العراق : دار الشؤون الثقافية .

13- العبدري (ت725هـ/1325م)

الرحلة المغربية ، تقديم : سعد بوفلاقة ، الجزائر: منشورات بونة للبحوث والدراسات 1428 هـ .

14- ابن عذاري ، أبو العباس احمد بن محمد المراكشي (حي سنة 712هـ/ 1312م) :

البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، تحقيق : بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، ط1، تونس : دار الغرب الإسلامي ، 1434هـ، ج1 .

15- الغُبريني ، أبو العباس احمد بن أحمد البجائي (ت704هـ/1305م) :

الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق : عادل نويهض ، ط2 ، بيروت : دار الأفاق الجديدة ، 1979م .

16- القلقشندي ، أبو العباس احمد بن علي الفراري المصري (ت821هـ/1476م) :

صبح الأعشى في كتابة الإنشا ، مصر : المطبعة الأميرية ، 1333هـ، ج5 .

17- المقري ، أبو العباس احمد بن احمد بن محمد القرشي التلمساني (ت1041هـ/1632م) :

نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق :إحسان عباس ، بيروت : دار صادر، م1 .

18- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم (ت711هـ/1311م) :

لسان العرب ، القاهرة : دار المعارف ، م3-م6 .

19- النويري ، أبو العباس احمد بن عبد الوهاب التميمي القوصي (732هـ/1332م) :

النويري نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : عبد المجيد ترحيني ، لبنان : منشورات علي بيضون ، ج24 .

20- الوزّان ، أبو علي الحسن بن محمد الفاسي (حي سنة 957هـ/1550م) :

وصف إفريقيا ، ترجمة : محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2 ، لبنان : دار الغرب الإسلامي ، 1983م ، ج5 .

21- الونشريسي ، أبو العباس احمد بن يحي التلمساني(ت914هـ/1508م) :

المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب ، إشراف : محمد حجي ، الرباط : وزارة الأوقاف والشؤون الدينية للمملكة المغربية ،1401هـ ،ج5 .

22- ياقوت الحموي ،أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت626هـ/1229م) :

معـــــــــجم البلدان ، بيروت : دار صادر، 1397هـ .

ثانيا : المراجع

1/ الكتب :

- أحمد، حسن خضري : علاقة الفاطميين في مصر بدول المغرب(362-567هـ/ 973 – 1171 م) ط1 ، القاهرة : مكتبة مدبولي .

2- أحمد، عزيز : تاريخ صقلية الاسلامية ترجمة امين توفيق الطيبي الدار العربية للكتاب 1980م.

3- إدريس ، الهادي روجي : الدولة الصنهاجية – تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10الى 12م- ، ترجمة : حمادي الساحلي ، لبنان : دار الغرب الإسلامي ، 1992 ، ج2 .

4- بورويبة ، رشيد : الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

5- الجيلالي ، عبد الرحمان محمد : تاريخ الجزائر العام ، ط2 ، دار مكتبة الحياة، 1965م .

6- حماد ، نزيه : معجم المصطلحات المالية والإقتصادية في لغة الفقهاء ، ط1 ، دمشق : دار القلم ، 1429 هـ.

7- عبادة ، عبد الفتاح : سفن الأسطول – أنواعها ومعداتها – ، مص: مطبعة الهلال ، 1913م .

8- عبد الكريم ، يوسف جودت : الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين (3 –4هـ / 9 – 10 م) ، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية .

9- العربي ، إسماعيل : دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية ، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، 1980م .

10- عمورة عمار : الموجز في تاريخ الجزائر، ط1 ، الجزائر: دار ريحانة ، 2002م .

11- عويس ، عبد الحليم : دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، ط2، القاهرة : دار الصحوة ، 1411 هـ .

12- فاليريا ، دومينيك : بجاية ميناء مغربي ، ترجمة : علاوة عمارة ، الجزائر: المجلس الأعلى اللغة العربية ،ج1 .

13- بن قربة ، صالح : المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد ، تلمسان: صدر عن وزارة الثقافة الإسلامية،2011 م.

14- مارسي ، جورج : بلاد المغرب وعلاقتها ببلاد المشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، ترجمة : محمود عبد الصمد هيكل ، الإسكندرية : مطبعة الإشهار .

15- أبو مصطفى ، كمال السيد : جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي ، الإسكندرية : مركز الإسكندرية للكتاب ، 1996م .

2/ الدوريات والمجلات :

1- زمامة ، عبد القادر : " اكتشاف نص جديد من كتاب البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب " ، يتعلق بتاريخ الموحدين ، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية ، مدريد ، تصدر عن معهد الدراسات الاسلامية ، 1980-1997م .

2- عبيد بوداود : " مساهمة علماء القلعة في الحياة الفكرية ببجاية خلال القرن 7هـ/13م "، ضمن أعمال الملتقى الدولي حول مدنية قلعة بني حماد ألف سنة من

التأسيس (398-1427هـ/1007-2007م) ، المنعقد بالمسيلة ، ايام9-10-أفريل 2007 ، جامعة المسيلة ، 2007م .

3- مزرعي ، سمير :" الطرق التجارية ودورها في تنشيط الحركة التجارية بالمغرب الأوسط "، مجلة كان التاريخية ، 1436هـ ، العدد 28 .

4- يحياوي ، عز الدين : " تأثير الطرق في إنشاء مدن المغرب الأوسط "، المجلة الخلدونية، جامعة ابن خلدون ، تيارت ، 2013م ، العدد6 .

3/ الدراسات السابقة

1-أمينة حجام وحنان قاسم : الموازين والمكاييل في الدولتين الزيرية(363-543هـ/472-1048م) والحمادية (405-547هـ/1014-1152م) ، مذكرة في تاريخ حضارة الصر الوسيط ، المدية ، 2015-2016م .

2- إيمان عبادي ونجيبة حبرش : الحرف والحرفيين في المغرب الأوسط من خلال كتب الرحلة (4-9هـ/10-15م) ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، جامعة يحي فارس ، المدية ، 2015-2016م.

3- خلفات ، مفتاح : قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6-9هـ/ 12-15م) – دراسة في دورها السياسي والحضاري –، ط1 ،الجزائر : دار المؤلفات للنشر والتوزيع،1437هـ .

4- بن ساعو،: التجارة والتجار في المغرب الإسلامي القرن (7-10هـ/14-15م) ، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة باتنة ، 1434-1435 هـ .

5- شريف محمد ، سيدي موسى : الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني(6-10هـ/12-16م) ، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط ، جامعة الجزائر ، 1430-1431هـ .

6- عائشة سرحاني وإسماعيل بريكل : الدور الحضاري لقلعة بني حماد (408-461هـ/1017-1170م) ، مذكرة لنيل شهادة أستاذ تعليم ثانوي ، جامعة بوزريعة ، 2007-2008م .

7-عشي ، علي : التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات (2-10هـ/8-10هـ) ، رسالة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط ، جامعة باتنة ، 2016-1017م .

8- هيصام ، موسى : الجيش في العهد الحمادي (405-547هـ/ 1014-1152م) ، مذكرة لنيل درجة الماجستير ، جامعة الجزائر ، 2000-2001م .

الفـهـــارس

1- فهرس الأماكن والبلدان

-أ-

الأربس: 56

الإسكندرية: 14، 17، 43، 57، 64، 65، 69

أشير: 13.

إفريقية: 59، 61.

ألمرية: 58.

-ب-

باب البحر: 36.

بجاية: 8، 10، 11، 12، 14، 15، 17، 18، 19، 22، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 44، 45، 48، 49، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 63، 64، 65، 66، 67.

بسكرة: 9، 13، 26 ،37.

بغاية: 36، 37، 43، 47.

بغداد: 13، 66.

بلاد الروم: 32، 56.

بونة: 14، 18، 25، 28، 30،31، 36، 48، 57، 61، 64، 66، 67.

-ت-

تادرفت: 37، 54.

تاورت: 54.

تدلس: 14، 29، 57.

تلمسان: 50، 58.

تنس: 18، 43، 44، 47، 61، 64.

تيهرت: 35، 43، 45، 46، 47.

تونس: 13، 14، 43، 48.

-ج-

جبل الأوراس: 28.

جبل البابور: 28.

جبل بغاية: 8.

جبل جرجرة: 28.

جبل مسْيون: 60.

جربة: 14، 57، 61.

جزائر بني مزغنة: 13، 25، 26، 60، 61، 65.

جنوة: 66.

جيجل: 26، 27، 29، 30، 42، 55، 56، 59، 63.

-ح-

حصن بكر: 37، 54، 55.

حصن تاكلات: 37، 54، 55.

حصن الحديد: 54.

حصن الناضور: 54.

حصن وارفو: 54.

-ز-

زغاوة: 62.

-س-

الساحل الإفريقي: 22.

سبيبة: 10، 12.

سطيف: 27، 36.

سلا: 15، 21.

سودان: 61، 62، 63، 69.

سوسة: 57.

سوق الإثنين: 37.

سوق الأحد: 37، 54.

سوق باب المذبح: 21، 36، 65.

سوق بني زنداوي: 55.

سوق حمزة: 6.

سوق الخميس: 37، 54.

سوق الصوافين: 36.

سوق قيسارية : 36.

-ص-

صفاقس: 13، 42،48 ، 57.

صقلية: 32، 65، 66.

-ط-

طبنة: 37، 46.

-ع-

عنابة: 39.

-ف-

فاس: 9.

-ق-

قبور بني تراكش: 54.

قرطبة: 45.

قسنطينة: 13، 14، 15، 27، 29،37،55.

قسطيلة: 13، 48، 63.

قصر عطية: 54.

القل: 28، 66.

قلعة بني حماد: 8، 9، 10، 11، 12، 14، 15، 18، 24، 29، 34، 37، 40، 41، 53، 54.

القيروان: 13، 43، 46، 61.

-م-

مازونة: 37.

ميورقة: 65.

مجانة: 30، 35، 36.

مراكش: 15.

مرسى بونة: 57.

مرسى شكله: 65.

مرسى جيجل: 57.

مرسى الخرز: 20، 29، 31، 32، 66، 69.

مرسى جربة: 57.

مرسى الدجاج: 13، 27، 28، 48، 57، 60.

مرسى سبيبة: 57.

مرسى شرشال: 65.

المسيلة: 13.

مصر: 12، 38، 48، 57، 58، 62، 66، 67، 68.

المغرب: 9، 18، 20، 22، 23، 24،
39، 41، 44، 49، 56، 58، 61،
63، 64، 66، 68، 69.

المغرب الأقصى: 59، 61، 62.

المغرب الأوسط: 52، 53، 59، 64،
65.

مليانة: 13.

المنصورية: 42، 55.

المهدية: 10، 11، 32، 57.

-ن-

الناصرية: 8، 12، 13، 38، 40.

نقاوس: 13، 26، 27، 37.

-و-

واركلا: 13، 40، 62.

وهران: 25.

ونقاوة: 62.

2-فهرس الأعلام

-أ-

أحمد محمد المازوني: 26.

الإدريسي: 17، 24، 25، 27، 28، 31، 37، 32، 52، 54، 60، 61.

-ب-

باديس ابن المنصور: 14.

ابن البعبع: 30، 52.

أبو بكر أبو الفتوح: 11.

بلكين ابن زيري: 9.

بلكين ابن محمد: 8.

البيذق: 33.

تميم ابن المعز: 10، 11.

ابن تومرت: 33.

الحارث:65.

حرز: 13.

حسن ابن علي: 32.

حماد ابن بلكين: 8.

ابن حوقل: 20، 25، 26، 29، 37، 43، 48، 68.

-خ-

ابن الخطيب: 9.

ابن خلدون: 17، 24، 29، 34، 38، 49، 50، 61، 69.

خلف ابن حيدرة: 9.

-ز-

زيد المازوني: 22.

-ع-

عبد الحليم عويس: 12.

عبد المؤمن ابن علي: 15، 58.

ابن عبد ربه الحفيد: 12، 21، 26، 32، 33، 40، 42، 49، 52، 56.

العبدري:52.

ابن العذاري: 50.

العزيز بن المنصور: 14.

-غ-

الغبريني: 65.

-ف-

ابن فكاه: 9.

ابن الفكون: 12.

-ق-

ابن القوطية: 35.

القلقشندي: 27، 29، 46، 47، 48.

-ك-

كباب: 13.

-م-

محمد البجائي: 22.

معد ابن المنصور: 32.

المعز الدولة: 14.

المعز ابن باديس: 38.

المقاتل: 8.

المقري: 64.

المنصور ابن ناصر: 14، 38، 39، 61.

ابن المنظور: 42، 44.

المهدي الموحدي: 15، 36.

-ن-

الناصر ابن علناس: 8، 9، 10، 11، 12، 13، 18، 30، 33، 52، 63.

نامرت بنت الناصر بن علناس: 8.

-هـ-

الهادي روجي إدريس: 65.

-و-

الونشريسي: 22.

-ي-

ياقوت الحموي: 30

يحي ابن العزيز: 15، 38، 40، 66.

أبي يكنى: 14.

يوسف:13.

3- فهرس الموضوعات

العنوان **الصفحة**

المقدمة 1- 5

مدخل تمهيدي.....08- 15

أولا : تأسيس مدينة بجاية 08- 13

ثانيا : أمراء بجاية الحمادية 13- 15

الفصل الأول : المقومات التجارية ببجاية الحمادية 17- 50

أولا : التجار ببجاية ودورهم في تنشيط الحركة التجارية 17- 23

ثانيا : المنتوجات التجارية ببجاية الحمادية وأسواقها.....24- 37

1- المنتوجات 24-35

أ-المنتوجات الفلاحية 24- 29

ب-المنتوجات الصناعية 29- 35

2-الأسواق.....36- 37

ثالثا : آليات وأدوات التعامل التجاري ببجاية الحمادية 38- 50

1- نظام السكة 38-40

2- الأوزان والمكاييل 41-47

3-الأسعار 48- 50

الفصل الثاني : المسالك والعلاقات التجارية ببجاية الحمادية 52- 69

أولا : المسالك التجارية 52-57

1- المسالك التجارية البرية 53- 56

2- المسالك التجارية البحرية 56- 57

ثانيا : العلاقات التجارية 58- 69

1- العلاقات التجارية المحلية 59- 63

2- العلاقات النجارية الخارجية 63- 69

الخاتمة.....71-72

الملاحق 74-77

قائمة المصادروالمراجع.....79-86

الفهارس 88-95

فهرس الأماكن والبلدان.....88-91

فهرس الأعلام 92- 93

فهرس المحتويات 94-95